حسين المناصرة

الشيخ واللعنة

آخر ما توصّل إليه عبد الله المسكين

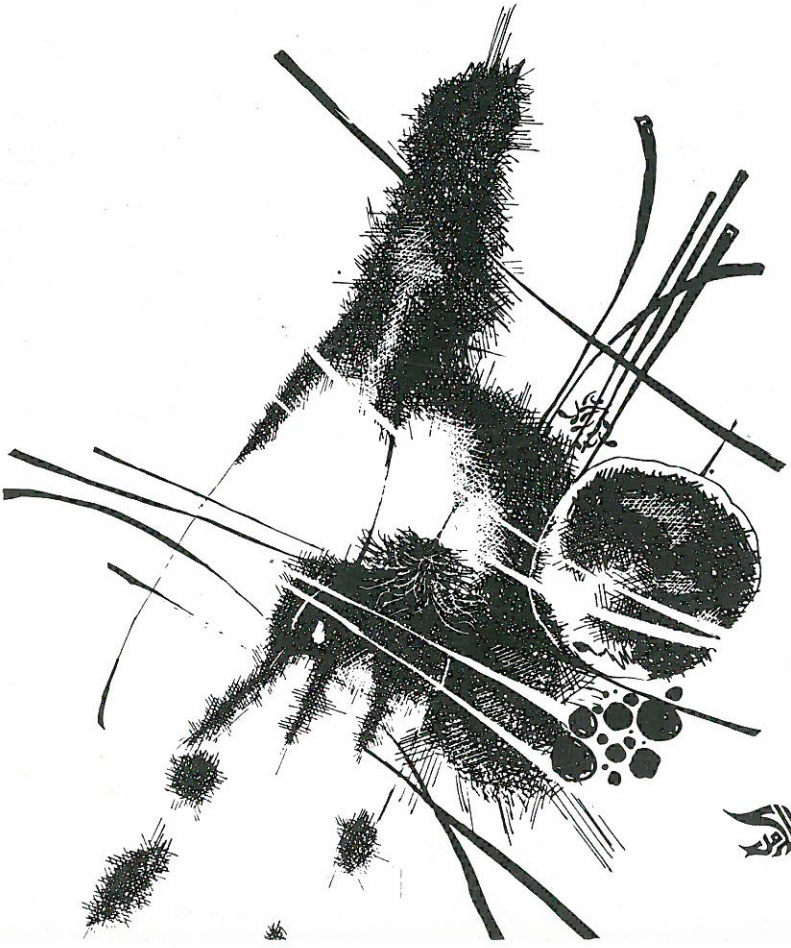

قصص

دار الكرمل

حسين المناصرة

الثلج واللعنة

آخر ما توصل إليه عبد الله المسكين

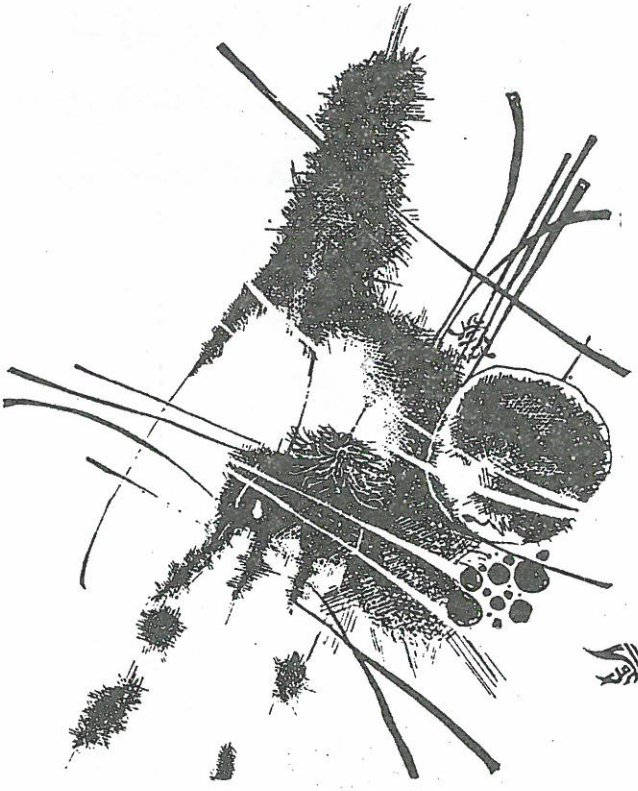

قصص

دار الكرمل

التبغ واللعنة
آخر ما توصل إليه عبد الله المسكين
قصص: حسين المناصرة
الطبعة الأولى. عمان ١٩٩٦
رقم الإيداع: ٩٠٨ / ٧ / ١٩٩٦
رقم الإجازة المتسلسل: ٧١٠ / ٧ / ١٩٩٦
رقم التصنيف: ٨١٣

إهـــداء:

إلى التي زرعت صحراء قلبي بالنعناع،

والشيح، والزعتر، والميرمية، والبابونج...

إليها أهدي هذا القص...

إلـــــى وفـــاء.

إشارات:

١ - كان من المفروض أن تنشر هذه المجموعة قبل مجموعتي «لقاء في الفوج الأخير» ..لأن هذه القصص تسبق تلك القصص زمنياً...

٢ - إن معظم قصص هذه المجموعة منشورة في صحف ومجلات عربية تتناثر في الأردن، والإمارات، وتونس، والسعودية، وفلسطين، ولبنان، ومصر...

٣ - كتبت هذه القصص بين عامي ١٩٨٦ و ١٩٩٤م.

حالتان في الشارع العام

تلك المرأة قذفت ما في بطنها في الشارع العام، فكان الطفل لزجاً، كتلة ما لا يبدو منها غير الرأس، يتمدد منه جسد كحشرة كبيرة...

استلقت المرأة على ظهرها مغمى عليها بين الموت والحياة.. وبدا الوجه بعد أن تلاشى الغطاء الأسود أصفر كالعصفر.. ومالت الرؤوس إلى الاتجاهات الأخرى؛ لأن الحالة كانت غريبة.. وصرخ رجل لم يعرف شكله على الاطلاق: «يالطيف ألطف».... أما المرأة الوحيدة التي شعت من بين مجموعة كبيرة من الرجال - يسيرون في الطريق العام مسرعين إلى سياراتهم بعد أن تجاوزت الساعة الثانيةعشرة ظهراً بخمس دقائق - وهو زمن إغلاق المحلات التجارية - فقد جرت تتحسس شكل المرأة المرمية على الأرض كخرقة بالية.. ولم يعد الرجال يبالون بما يرون، رغم تعلق مشاعرهم بالمرأة المنكبة على المرأة المرمية.. يتمنون أن تفعل شيئاً مجدياً....

كان الرجل المحرم عاجزاً عن فعل أي شيء، بل ربما تمنى أن تنشق الأرض وتبلعه في تلك اللحظات... وفكر هل

يمسك المرأة المرمية أم يمسك الطفل المرمي.. ومن مات منهما... كيف وافقتها على النزول إلى السوق...ماذا أفعل..يا أرض انشقي وابلعي.. صرخ في لحظة غير واعية «الإسعاف يا إخوان.. أي سيارة.. ساعديها.. من يعرف بالأطفال..».

حاول أن يمسك الطفل.. لم يفلح.. استنجد بالمرأة المنكبة على المرأة المرمية.. سحبت الطفل ثم أعادته.. قالت بصوت غاضب «لا أعرف».

كانت الحرارة مرتفعة..تحركت المرأة المرمية.. عادت من القبر بعد أن شربت نفس الحادثة .. بقي الطفل كتلة مرمية.. من يساعده؟؟!.

حاول الرجل مع الطفل.. انصبت كل العيون إليه.. فكروا هل هو بنت أم ولد.. حساب الربح والخسارة..

قال رجل: المهم أن المرأة بخير.. الأولاد يعوضون..

قال الثاني: افرض أنه الطفل الوحيد، والمرأة شبه عاقر..

أما الثالث فكان قاسي القلب؛ لأنه أرجع ذاكرته إلى كل الذين ماتوا، وبدأ يحسب ويردد من غير وعي: « ماذا يعني موت طفل... آلاف الأطفال ماتوا.. آلاف الرجال ماتوا.. فلسطين.. لبنان.. أفغانستان.. الشيشان..البوسنة

والهرسك.. الصومال.. والحبل جرار..» .

تمالكت المرأة المرمية نفسها.. قذفت الارتخاء من دماغها.. عضت على الغيبوبة بين أضراسها.. اتكأت على ساعدها الأيسر.. فرشت منديلها الأسود على الأرض.. حملت الطفل من يديه.. سحبت اللزوجة عن أنفه وفمه.. نفخت.. انطلقت الصرخة المكتومة.. تشهدت المرأة.. فرح المنتظرون بعد صرخة الطفل.. ووقفوا ينظرون بكل ثقة بعد أن دبت دماء الحياة في الجثتين..

كان صوت الطفل بارداً.. تدنت درجة الحرارة إلى النصف..

★ ★ ★ ★

وقع الرجل الأشيب السمين على الأرض كجثة هامدة على مسافة عشرين مترا من حالة الولادة.. تصارخ الرجال.. هجموا عليه لإنقاذه.. كانت المرأة تهتم بالطفل.. تغطيه بالملابس المتاحة.. وكان الرجل يلملم الأشياء المبعثرة في انتظار السيارة القادمة من المستشفى الذي يبعد ألف متر..!!

تدفق عرق الرجل المتساقط.. كان قلبه يتماوج.. تناثرت الأصوات..

- ضربة شمس..

- نوبة قلبية..

- فقر دم..

- تنفس اصطناعي..

- جس النبض..

- أبعدوا عن الهوا..

- لا يوجد هوا..

- هفوا هوا.. هفوا هوا..

وصلت سيارة الإسعاف.. توقفت عند حالة الولادة.. تصارخ الناس: هنا هنا.. انتبهت الملابس النظيفة للأصوات.. حملوا المرأة والطفل إلى السيارة المتعجلة.. اختفت الوجوه.. بقيت الحالة والرجال يتصارخون..

- اطلبوا الإسعاف.

جاءت سيارة الإسعاف الأخرى.. مددوه على اللوح الأبيض.. قطعت السيارة الإشارة الحمراء.. توقفت عند باب الطوارئ.. لقد فارق الحياة..

قال الأول: رحمه الله..

رد الثاني: سبحان الله يحيي ويميت.

الحرس الوطني - الرياض.

السقف تندف..

كان سلمان الهذار مورقا عندما بدأت سقفه تندف إناثا مثلما تتساقط حبات البرقوق السمراوات عندما تهب موجة ريح على الشجرات العانسات الثلاث الملتصقات بالأرض.. عمرهن التقريبي أكثر من ثلاثين عاماً وما زلن مخضبات.. يلتصق بصدر الواحدة منهن طن من البرقوق.. يتداخل فيه اللونان الأخضر والأحمر والأخير هو الغالب.. تتناثر الحبات السوداوات على الأرض كصبايا قرويات فوق أرض حمراء.

وبعد هبة ريح واحدة تحدث النشوة.. يصرخ سلمان الهذار "ينادي عبد الكريم الهذار هامساً بكل ما تحمله الكلمات من الانتعاش الروحي الذي لم يسجل إلا في تاريخ طفولة قريتهما..

- برقوقاتكم أكيد سقط عنها الآن الحبات المستويات.

يقول ذلك وهو أكثر حمرة مما مضى.. يتحسس أمعاءه الملتهبة متشوقاً إلى الدحرجة فوق التراب الرمادي.. يتوهج إلى درجة الاشتعال الطفولي..

يتجمع لديهما من الحبات المتساقطة أكثر من عشرين

حبة.. هو عشر وهو عشر... وتكون المساواة أيضاً في سلامة الحبة أو نخرها من قبل دودة تأخذ مساحة محدودة لتعطي الحبة طعماً أكثر نضجاً وأكثر لذاذة من الحبات السليمة.

★ ★ ★ ★

كانت أمه تحرس الشجرات الثلاث بعناية.. وتسمح لهما باصطياد المتساقطات فقط.. وعندما يلجأ عبد الكريم للكذب عليها، فيقطع عدة حبات عن صدور أمهاتها، ويدعي أمامها أنها تساقطت على الأرض.. تكتشف خيانته وتعنفه.. ولم يكن يعرف آنذاك كيف اكتشفته.. «إنها تنظر إلى عنق الحبة، فإذا وجدته طرياً ندياً، فإنها مسروقة»..

أحب سلمان الهذار الريح حباً جماً، ولو امتلك زمامها لأطلقها في اليوم الواحد ثلاث مرات.. حط آماله كلها على العصر لأن الريح فيه زوابع.. ويفرح كثيراً عندما يسمع عن حمار ما دخل إلى البستان خلسة واحتك بالشجرات القابعات على المدخل.. أو تناوش جذعاًفأسقط الكثير.. هل تآمر مع حمير الحارة؟!.. تندب أمه حظها.. ويأكل سلمان وهو فرح. يصبح لون وجهه ليلكيا وتتعفر ملابسه بهذا اللون..

★ ★ ★ ★

سلمان الهذار محظوظ عندما تساقط البرقوق،وهو أيضاً

محظوظ عندما اكتشف قوة رجله اليمنى في لعبة كرة القدم، فتساقطت عليه الإناث لأن الفتيات في قريتنا يتساقطن أول ما يتساقطن على الأرجل، أعني على لاعبي الكرة.. والكرة أكثر حدود الشهرة في قريتنا.. وفريق الكرة الطائرة هو الفريق الوحيد الذي يسمح له بالدخول إلى مدرسة البنات واللعب معهن.. وكان سلمان الهذار محظوظاً أيضاً لأنه كان يتقن لعبة الكرة الطائرة.. ذهب إليهن.. لم أكن مثله.. أنا عبد الكريم الهذار أموري كلها بسيطة كالطبيعة أو كبرقوقاتنا الثلاث..

★ ★ ★ ★

انتقل سلمان الهذار إلى الثانوية، نسي البرقوقات اللواتي قل حبلهن.. وأضحت حاله الجديدة أكثر انطلاقاً نحو الإناث.. نسي البرقوقات.. وأمست العلاقة بينهما رسمية، لأن عبد الكريم الهذار حسد سلمان الهذار على النعمة التي حلت عليه بسبب رجله.. ولم يعد سلمان يحسد عبد الكريم على البرقوق.. بل كره بعد اكتشاف رجله، وأيضاً يده، أشياء كثيرة..

★ ★ ★ ★

درس عبد الكريم المحاسبة في الجامعة.. أما سلمان الهذار فكون ثروة كبيرة، لأنه لم يتابع دراسته.. وكان هذا كله

بفضل رجله..

التقيا بعد زمن.. تعرف سلمان الهذار على عبد الكريم الهذار، وقرر أن يساعده بوظيفة إضافية، هي أن يحشو الخبز «الصامولي» في أكياس النايلون.. مما يدخل عليه راتباً إضافيا يقوي راتبه الذي يأخذه من وراء عمله في ديوان المحاسبة الحكومي.

★ ★ ★ ★

نظر عبد الكريم الهذار إلى وجه سلمان الهذار فكان الوجه خالياً من البرقوق ثم قال بلطف:

راتبي يكفي والحمد لله.

بلع سلمان الهذار ريقه على دفعات.. ومال لون وجهه إلى الأزرق الفاتح..

نظر عبد الكريم الهذار إلى التفاحة والبرتقالة الذابلتين في طبق أمامه.. ثم انتزع نفسه من المقعد وقال:

- عن إذنك.

- قشر تفاح.

- لازم أروح عندي دوام الساعة الثامنة.

- اشرب قهوة.

- لا أشربها قبل النوم.

★ ★ ★ ★

لم ينظر عبد الكريم في وجه زوجته الحزين، وقال رداً على تعليقها وتساؤلها عن سبب الخروج مبكرين:

- لو لم أخرج لمت هذه الليلة.. كان يتقصد إهانتي.

- معه حق.. فلوسه كثيرة.. أنت جامعي وعلى الحديدة.. وهو أفران وتجارة حرة.. وأنت مكانك قف.. ربطة عنق «على الفاضي».

بدأ عبد الكريم الهذار يراجع الأطباء بسبب ضغوطات على قلبه وآلام في المعدة وكتمة نفس وقولون عصبي وأشياء أخرى لا مجال لذكرها إطلاقاً.

الثورة - دمشق.

عريس آخر زمن

قرعت المرأة الطبل فجاء صوته مبحوحا.. وبعد موت رقبة البهجة قامت امرأة أخرى لترقص.. حاولت أن تهز خصرها.. حثت النساء الجالسات في الدائرة الميتة.. لكن دموع العروس كفيلة بأن تلجم الأيدي.. ماذا يحدث في هذا الزمن؟! ضرب الحاج مصطفى يداً بيد وقال: آخر دنيا!!

أما الحاجة حليمة فلم تتمالك نفسها وراحت تصرخ في النساء وهي تردد: «إيش هذا ميتم والا عرس». «وعقدت» غدفتها على خصرها وراحت ترقص وفي وجهها يختلط الفرح بالشقاء. تبلد إحساس النساء.. وتبلد إحساس الرجال الجالسين في الخلاء تحت شجرة الخروب الباسقة يشربون القهوة السادة ويتحدثون عن علامات قيام الساعة.. وكان الشيخ رجب الزيدي يكرر على مسامعهم (ولتعلون علوا كبيرا) ويعلق «آخر زمن»..

قبرت زفتك يا سمعان قبل أن تولد.. أنا الضحية.. زيد العامر يهرب منها وأقع فيها أنا... «هذه بنت عمك وأنت الوحيد الذي ينزلها عن الجمل»..

- أنا لا أريد بنت عمي.

- هذه عطية جورة من جدك إلك.

- وهي تريد زيد العامر ويريدها.

- ابن العم ينزل بنت عمه عن الجمل.

- وزيد العامر ابن خالتها.

فك والده حزامه وهدده بسلخ جلده عن لحمه. أدار وجهه وتوجه إلى خزانة ملابسه فأمسك بشهادته الجامعية ومزقها في وجه أبيه وهو يردد: «سأتزوج زهرة سأتزوج زهرة سأتزوج زهرة». صامتا يجلس في الزاوية المدحورة.. يسمع تعليقاتهم... يتحول قلبه إلى شيء من جلد حمصته حرارة الشمس بعد أن عجزت الكلاب عن تقطيعه...

يقولون هرب زيد العامر قبل يومين إلى إلى إلى .... لا أعرف إلى أين... وترك لي زهرة...

بل ترك لي دموع زهرة... زهرة جميلة... لكن دموعها ستغرق الفراش... وأنت يا سمعان عريس آخر زمن...

- أنا لا أحبها

- أنا لما تزوجت أمك لم أعرفها

- هذا ليس ذنبي

- الحب يأتي بعد الزواج...

أتزوج من زهرة؟! .. زهرة تحب زيد العامر!!.. كل أسراره كان يقولها لي.. لكنني لا أذكر أنه حدثني عن لقاء ما بينهما... كنت أرى رسائله إليها... ماذا يحدث يا زهرة؟!

قد لا تصدقون الحكاية من بدايتها إلى النهاية، فأنا السيد سمعان الذي مات قبل مئة عام، وكان يحلم أن يتزوج ابنة عمه التي أحبها وأحبته... ولكن القسمة والنصيب حالت بيني وبين زهرة... فأنا سمعان بن الحاج مصطفى من قرية خربة بني دار... ووالدي كان سيد القبيلة ... وكنت صعلوكاً في قبيلتي.. هل تصدقون حكايتي.؟

سأعيد قصتي من البداية.. فأنا زيد العامر... وزهرة وردتي التي ذبلت في حكاية عجيبة..

أنا أم زهرة.. إن ما يحدث في مضارب قبيلتي لشيء عجيب... آخر زمن آخر زمن... هل أنا زيد العامر أم أنا سمعان مصطفى... هل زهرة ماتت أم حية... هل مت قبل مئة عام أم عشت مئة عام...

هذا العرس عرسي!! هكذا يقولون!! ويقولون ايضاً إنني عدت مع العائدين إلى القبيلة.. كنت مقاتلاً هناك.. لا أعرف إن كنت أقاتل نفسي أم أقاتل اليهود!! عجيب أمري

عجيب!! الشيء الوحيد الذي أنا متأكد منه هو أن هذه المرأة التي اسمها زهرة تحبني حباً جماً.. وأنها ويا للعجب لم تكن تعرف غيري.. وأقسمت لي أنها لا تعرف زيد العامر وأنها كانت تحبني أنا سمعان بن الحاج مصطفى.. وأنها كانت تبكي لأنني رفضتها.. وأنها انتظرتني سبعة وعشرين عاما...

صدقتها... وبكيت لأجل صديقي زيد العامر الذي قتل في الحرب الأخيرة منذ ما يقارب مئة عام.

فواصل - بيروت

مفـارقة

في ذلك اليوم أكلت منه العصا ما أكلت.. والكل ركله.. كان يتصور نفسه جالساً في ساحة عامة والكل يآجر فيه.. ضحك كثيراً عندما تذكر كلمة «يآجر»... ماذا يتصورون أنفسهم؟! اللعنة، هل يعتقدون بأنهم يلمون الحسنات من ورائي!! أسكتته ركلة قاسية فشرب نَفَسَهُ، وقرر ألا يفكر في شيء للحظات...

كان مربوطاً إلى عمود لا يعرف طبيعته.. وكان رأسه مغطى بالكيس.. يداه مقيدتان خلف ظهره.. وفي رجليه سلسلة من الحديد..

عاد بذاكرته إلى الحالة التي رُبط فيها عندما اعتقل في زمن الاحتلال... في ذلك الوقت ربطوه عند المدخل وكانوا يضربونه منذ الفجر حتى بعد العشاء.. هناك كان يعرف عدوه... ولكن هنا.. الطريقة نفسها.. أسكته خوفه من ركلة سبقتها بصفة..

ما الذي يحدث.. سمع المذياع يغني بأغنية التحرر الوطني.. ولكن ماذا يحدث؟!..

كل ما يحدث هو أن الناس أصبحوا يروون أشياء غريبة... ويقولون إنه من أنظف خلق الله.. أخذوه ومن غير أن يعرف كتبوا على ظهره عميل.. وكان الداخل والخارج يآجر.. وهو لا يعرف شيئاً... ولكنه عرف بعد أن أخبره الذي توسط له الحكاية.. قال: ولكنهم (..) مكرّمون.. وهم الآن (..) أسكته الرجل الآخر... هل تريد أن تعود إلى الساحة؟!! وهنا تفطن إلى زلقات لسانه فخرس!! ومن يومها لم يُروَ عنه أنه قال شيئاً.. لكنه ما زال يردد عبارة سمعها من خبير تقول: «قبل عشرين عاما كان قطر رغيف الخبز ١٠سم، واليوم أصبح قطره ١٠٠٠كم، فكيف تؤمن رغيفك؟!!».

جحا العربي....

خرج بعد أن طارت دماغه.. تعب من الجريان خلفهم. إنهم يتصيدون ذهبا فوق ذهبهم.. وينظرون!!! وهو يقص حكاياته عن حماره...

هل جن الناس؟؟!!

معذورون!! هذه مواسمهم التي تهل عليهم كأوراق الخريف أثناء ريح سموم..

على الوعي السلام!! وفي الناس المسرة!!

سار في الشوارع لاعنا شاتما: يا.. يا.. يا.. مسعورة ... مسعورة.. امتلأت جيوبهم. وها هم يعيشون في ترف فكري.. إنهم يجلسون كما أجلس حول الطاولة المستديرة.. أنا جحا العربي وهم من هولاكو..

كأن عقله يطير شيئاً فشيئاً...

ما لهؤلاء؟؟ أيجتمعون من أجل تحسين الوعي؟؟! حسنوا الأخلاق أولا!! حسنوا الأخلاق يا.. مسعورة!! تتصرفون هنا كالملائكة.. وهناك يتغير كل شيء.. ترف

فكري.. ترف.. ظهور مسنودة..

خرج تاركا أجسادا متكرشة... وأفواها تنز وتنز.. ربما لعنوه أو شتموه.. أو أشفقوا على عقله المتخشب... ربما قالوا: لكل مجنون عاقل، وأنتم العقلاء...

كان جحا الراوية الوحيد الذي يحفظ أشعار العقلاء من العرب...وكانت زوجه تغمز هولاكو... وتلوم جحا لأنه لم يعد كما كان...

هل ذبحه ذلك الوجه المتلاصف شبعا بأجور بيع وشراء؟!!

على الضمير السلام.. ولهذه الوجوه المسرة!!

مسعور.. لكنه يجلس كثور عريق.. يجعجع: « يجب أن نجعل الوعي ثورة.. وعليكم... وأنت بالذات أيها الرئيس ..أن تطبقوا...» ..

دماغي يا ناس !!دماغي يا خلق !! دماغي يا بشر !! دماغي لم تبق معي..! ما هذا الكلام؟! مسعور !! بيع مسعور !! كذب مسعور !!

على الوعي السلام، وفي الانتهازية المسرة !!

جلس على ناصية الشارع وصار يراقب الوجوه المارة

أمامه: وجوه تسير فوق طبق من الشارع.. تهرب إلى الظلال والأماكن المنزوية.. أنت فعلا شخص مجنون: هل من المعقول أن تكون كل هذه الوجوه وجوهاً مسعورة.. كن يقظاً عندما تتخذ قرارك يا جحا.. لا تحسب نفسك الوحيد الذي يعرف القراءة والكتابة.. يجب عليك أن تتجاوز الأشياء المهترئة الملقاة على الأرض يدوسها المارة كلهم.. أليست هذه الوجوه تعاني قدراً من المآسي قد لا يطاق.. وفيها قدر ما من الحب.. طبعا بعض الوجوه...

هناك مسعور واحد.. اثنان.. ثلاثة.. عشرة.. ألف.. مليون.. وهناك قدر ما من الوجوه الأليفة .. من الوجوه الأنيسة.

يجب أن تقتنع بهذا وإلا أصبحت مشوها.. هيا هيا عد إلى تلك الدائرة.. عد إلى ذلك المجلس.. فأنت الممثل الوحيد لأشعارك الحزينة.. عليك أن تقول ما توصلت إليه.. حارب تلك الوجوه المدهونة بكل الألوان الفاتحة.. قل: هو فقط.. أو هما فقط.. أو هم فقط فقط...

المسار – تونس

هـاتف

(ورقة سقطت في الشارع العام
من مذكرات سرية ميتة..)

يرن جرس الهاتف للمرة العاشرة، وفي المرة الحادية عشرة حاول الصراخ أو الانفجار في الوجه الأنثوي المرهق..ترفع السماعة وهي مهووسة بلحظات النوم واللانوم، فوجدت السماعة مثقلة بالرنين المبحوح، قربتها من أذنها الغافية، نظرت إلى شعر ابنتها النائمة قرب الهاتف، وتفقدت عينيها المغمضتين بهدوء، نظرت إلى الأشياء المبعثرة حولها! كانت ألعاب الأطفال الثلاثة متناثرة. أرخت أذنها إلى الشيء النائم بجانبها، وأعادت النظر مرة ثانية إلى الطفلة النائمة بتلقائية بريئة، وقد ارتفع الثوب عن فخذيها. كانت الطفلة قطعة من الجبن، وجهها ناعم، شعرها أقرب إلى اللون الخروبي الأشقر.. تخيلتها، قبل أن تتعوذ من الشيطان، امرأة ما، تمتلك الرجال....

تتخيل جمانة نفسها أنثى شقراء، جسداً أبيض يرمي الثوب الأسمر... فيظهر اللون الأبيض الناصع، يظهر اللون الرملي، تتحول إلى تفاحة طرية، إلى عذراء يتسابق الفرسان إليها، إلى أنثى قدرية تختار فارساً بلون عنترة، تركب خلفه

على الفرس الأبيض، يطير بهما الفرس السحري إلى غابة مهولة، يكبو الفرس فتقع الأنثى في أحضان شبل شرس، لا ترتعب، ولا يأكلها الشبل الغاضب، يتصارع الفارس والشبل، فينتصر الليث، تقعي في حضنه، تتحول إلى لبؤة، يمتلكها سيد الغابة، تتعرّى حتى النهاية... وتسير في الغابة...

الصحراء خمار أسود، حرارة العراء عباءة سوداء... تلعن كل الأشياء، تلعن الانغماس في الوحل والرمل... جسد ولذة ضائعة... تعود وترتمي في أحضان الغضنفر، ليأكل من جسدها في لذة لم تتصورها من قبل... تتخيل نفسها قادمة من الغابة إلى الأوكار لتبصق عليها... لتبصق على الشبق الهارب من أمام العري واللذة.... تستمع إلى امرأة ما، تتحدث معها:

- هل تحجبت، يا جمانة؟!

- ولا أترك فرضا... أحمد الله على أنني وجدت الخير في الطريق إلى الآخرة.

- والاختلاط...؟!

- حرمناه... وفي الليل أنام على جانبي الأيمن.

- وزوجك...؟!

- لا يترك صلاة في المسجد إلا ويذهب إليها.

تصحو من حالة نوم اليقظة، تضرب بيدها على رأسها... تتذكر السماعة وصوت مبروك الشافي، تقرب السماعة من أذنها:

- ألو

- ...

- لم أسرح، النوم يحاصرني، ورنين الهاتف أوقع الصداع في رأسي.

- ....

- اتصلي غداً في السادسة مساء.

- ....

- ومن أهم من زوجي وأولادي؟!

- ....

- اتصلي غداً مساءً، مع السلامة.

ألقت السماعة عن أذنها بقرف، واستلقت على كرسي مجاور كثوب أسود ملقى على أريكة بيضاء... لم تعد

لحظتها تفكر بالمحراث الحديدي أو بالساحات المفروشة بعري البحر، أو بالأموال المكدسة كأموال تاجر البندقية... كل ما تمنته هو أن يتحول جسد مبروك الشافي إلى شيء من القوة الذرية، يدمر أصغر المسامات المختبئة التي لم تدغدغها صرخات الأسرة... وما الذي يفعله مبروك؟! يتعرى قطعة قطعة، فتحتضن جسده كطفل رضيع... ويبقى الشبق أرمل متيما...

(لا علاقة بين هذه الحكاية والواقع.. إنها بكل تأكيد صياغة رمزية من ذهن مجهول كتبها ووقعت منه الورقة في الشارع).

القصة – القاهرة

الوثيقة

هذه الورقة للمراجعة... فأنا أريد الوثيقة المحجوزة لديكم... أريد أن أسافر...

أنا أسافر... أنا أتخلص من قيود جحيمية... أتخلص من الثيران المفعمة في جوانحي كلها... إنهم يحرفون الوثيقة... فهذه الوجوه لا تبتسم قط... إنها مكفهرة ومزمجرة... إذن فهم سيقتلون الوثيقة الآسنةفي مخازنهم... لا عليّ .... فالوثائق كثيرة.. تزيد ولا تنقص... إنها منحت له وفي لحظة المنح ذاتها قبض عليها... الناس يدخلون ويخرجون... القاعات مزدحمة... الوجوه مغبرة... الابتسامات في وجوه الزوار نادرة... الوجوه حزينة... السجائر تعلن عصيان اللافتة المهشمة... «رجاء ممنوع التدخين» ... الأزمةتحيط بكل الوجوه... العيون زائغة تلتفت في كلّ الأنحاء ببلاهة... الأحاديث الجانبية تكاد تكون نادرة... إنهم يشيحون بوجوههم نحو المدخل الضيق... ينتظرون الأصوات التي تناديهم... يتسمّعون... ينصتون... يترقبون...

الوثيقة... السفر... المقابلة... الحجز... الشوارع... الحرائق... والزمن يتنقل ببطء شديد...

أريد السفر... أريد التخلص... لعنة الله على القيد... القيود... القيود... الوقت يخنقه الانتظار الجحيمي... الوجوه محروقة... الوجوه الأخرى لا تبتسم أبداً للوجوه الحزينة... الشفاه تيبست... القاعة مزدحمة... الداخلون أكثر من الخارجين... الترقب... نريد الحياة... لا نريد الحياة الآسنة!!!... نريد الخلاص... الأنوف مزكومة... الحلوق تحرق... الأرجل تتحول إلى براميل الزفت... والشعر يتناثر من كثرة الشدّ... والجسد يتلوى فوق الكرسي الحديدي... القلوب تخفق بالقيود... نريد الرحيل نريد الخبز... وقبل كلّ شيء نريد الوثيقة...

عليّ أن أصغي جيداً للأسماء... متى ينادون... الوقت تأخر... إنهم لا يريدون المناداة... ربما يحتاجون إلى أبواق لترتاح حناجرهم... الناس يزدحمون... إنهم من فصيلة واحدة... وأولئك لن يتمكنوا من لف القيود بإحكام حول أعناق هذه الأعداد المتزاحمة حتى الشمالة...الساعات طويلة جداً... مرت بصعوبة... الدوام ينتهي بعد قليل... الوساطة... الفشل... الوساطة... الوساطة... إنهم يتأخرون... ربما... في كل تأخيرة خيرة... الفرج... منذ الصباح الباكر...الدوام سينتهي بعد نصف ساعة... الوجوه تقل في القاعة المزدحمة بالسجائر... اللعنة... إنهم سيطردون من تبقى... أوخذ ورقة أخرى... وعليك أن تراجع...

الوجوه المزدحمة في كل مرة...القاعة نفسها... الانتظار نفسه... الصوت والحركة من وإلى داخل القاعة... الدخول والخروج... القاعة تعيش حالة مثالية لعنفوان الحركة... القاعة تعيش حالة مثالية لعنفوان الجمود والصمت... عليك أن تراجع في يوم كذا... عليك أن تراجع في شهر كذا... عليك أن تراجع في سنة كذا... عليك أن تعيش بلا وثيقة... اغرب عن وجهي، فأنت لا تستحق أن تحمل الوثيقة... أنت لا تستحق الخبز الذي تأكله...

الوجوه المزدحمة والقاعات الواسعة والوثيقة المهترئة... الابتسامات النادرة... الفرج المقيد... الداخلون والخارجون... القيود... اللعبة... العالم المتخلف... الدول النامية... الصراع الحضاري... الوثيقة المطاردة... الوثيقة المقبوض عليها... القاعات الممتلئة... الشياطين الزرق... الوجوه المتشابهة... الأوراق المزدحمة... الحاسوب العصري...

هذه الورقة للمراجعة... فأنا عندي مقابلة... أريد الوثيقة... أريد أن أسافر... الآخرون لا يبالون بك... الأرزاق والأعناق... الضحكة الغبية... شر البلية ما يضحك... وفجأة تتوقف... أنت آلة لا تضحك من القلب... بل من

المعاملة... الغرفة المزخرفة... المقاعد الوثيرة...

يرشف القهوة... يجلس باسترخاء... ينظر إليك بلا مبالاة...

- وماذا تريد؟

- الوثيقة... أريد أن أسافر من أجل العمل...

- نحن نحبك، ولا نريدك أن تسافر...

(تتجرع السّم)

- لن تأخذ الوثيقة!!

(تتلبّد أمعاؤك بالتقيّؤ)

- عليك أن تدرك أن العصيان يضرّ بصاحبه... أنا أجلس على مكتبي، وآخذ راتبي سواء أعملت أم لم أعمل... فأنت وحدك تخسر...

(البصاق في فمك يتحول إلى طعم الحنظل)

- العقاب بسيط سنمنعك من السفر... وإذا أردت أن تسافر فسافر ولكن بدون الوثيقة...

(تشعر بالدوار... تتجرع القيء بمرارة كبيرة...)

- الوثيقة في الحفظ والصون!!

(تعزم على البصاق فتتجرعه)

- هل تعرف الباب أم أدلك عليه؟!!

تخرج بلا ورقة... تقدم طلباً... تدعمه بالوساطة... الوجوه المزدحمة... الداخلون والخارجون... العالم المنبوذ يتحرك في قاعات الشقاء... العرق والسجائر... الوثيقة... العيش بلا قيود... الأمنية لن تتحقق... الجحيم والإصرار... القيود والملامح البشرية... الوثيقة...!!

قصص - تونس

امـــرأة

(إلى أمي سيدة النساء)

أمسكت المرأة العجوز ثوبها بطرف أسنانها، وراحت تركض وراء المارة الهاربين... ولم يكن الذين يمرون إلا وجوها هاربة من حزنها إلى كل الأشياء المنزوية... ركضت وركضت حتى تعب التعب من ركضها، وبعد أن كلت تناولت طفلاً صغيراً كان يركض مع الراكضين، فوضعته في ثوبها... وركضت حتى تهالكت في ناحية ما... جلست على الناصية نظرت في وجهه كان صغيراً وباكياً... ولأول مرة تنظر خلفها... إنها لم تكن عاصية؛ لذلك لم تسقط عليها الصخرة... كان الناس قادمين من هناك يركضون ولا يتوانون... يجب أن تشرب نفسها لبعض الوقت... نظرت حولها... يا للصدفة إنها تجلس على نفس الصخرة التي يقال إنها لحقت بأهل «لوط» عليه السلام لتدفن «زوجه» كما دفنت العاصين في القرى الست... ولكنها لم تكن عاصية؛ شربت شيئاً من نفسها وحملته بيد على كتفها، وأمسكت ثوبها بأسنانها، وفي يدها الأخرى حملت صرة ما... كلهم كانوا يركضون...

كانت الجبال من خلفها تحترق جبلاً جبلاً، وكانت النيران تتصارخ... وهي تركض وتركض... ومن يتأخر تلتهمه النيران...

جلست تشرب نَفَسَها... نظرت إليه؛ كان نائماً وهو يركض فوق ظهرها... حاولت أن تتذكر هذا الوجه... أرادت أن تقف على ناصية الشارع؛ وتصرخ: لمن هذا الطفل الذي كان يركض فوق ظهرها... لكنهم كانوا يركضون... نظرت إلى هناك، فكان البحر المالح يتمدد فوق مساحة شاسعة... وكانوا كلهم يتجمعون حوله... والنيران تركض خلفهم... والمياه تعمي العيون اليابسة، ولا يجدون ما يشربون... ماذا تفعل؟!! قامت وركضت تبحث عن الماء، سعت هنا وسعت هناك... أنت هاجر وهو إسماعيل... وهذا المكان التقى به «لوط» و «إبراهيم»، وحينها قال إبراهيم لابن أخته: يقن يا لوط، فيقن بالعذاب الكبير... وبعد أن تعبت، وجدت نفسها تجلس في أخدود من الماء البارد، والطفل يشرب ويشرب ويشرب ويشرب...و ي ش ر ب ... وفي حينها أدركت أنها كانت ترضعه... وأنه لم يمت فوق ظهرها... وأنها ما زالت تركض باحثة عن الأمان والماء بعد كل مرحلة!!

الجزيرة – الرياض

الجثة

ظلام يسري في الطرقات، في المنحنيات والزوايا، في الضياع، في كل شيء... ظلام يلف الجسد العاري. ظلام أسود، وخوف أسود يرتقي سلم الصعود إلى الظلام... ويتردد مع صدى الصوت المبحوح في ظلمة القبر الشائك صوت لا يعرف الطريق... لا شيء سوى الظلام... وأسطورة تحكى بين القوم عن قصة الظلام بعد غروب الشمس في يوم ماطر... ويلتف العالم الصغير بالظلام، ويردد الوطواط وضوح الرؤية في فضاء كثوب الناسك الجديد...

بحث عن عقاله الأحمر المخطط بالأبيض فلم يجده... عن جواربه البيضاء فلم يجدها... عن حذائه الأسود، عن الملابس ذات الألوان المختلفة فلم يجد شيئاً...فالظلام الصاخب يحجب الرؤية لم يعرف طريقه، بحث عن خيوط النجاة، كلها تضيع وتتسرب كما يتسرب الماء في التربة الرملية المشتعلة...

صرخ بأعلى صوته، نادى كل الأسماء التي عرفها، صرخ...، وصرخ... علّ أحداً يأتيه... يؤنسه بكلمة واحدة، ينير له الطريق بالمشعل... ردد الصدى الصوت المبحوح

الملتهب فكان صوت الصدى يعزف على وتر أسود حالك، فتخرج الأنغام متلونة بلون الظلام...

صرخ صرخته الأخيرة، فأغشي عليه، فغاب جثة في الظلام، وكل شيء في الظلام ظلام...

لم يعش لتشرق الشمس، فيرى النور وجهه، أو ترى عيناه نور السماء...

مات يبحث عن الطريق، عقدة رهيبة، وفجيعة أليمة!!

بحث عن مخرج في وسط الزحام فكان موته أسطورة الظلام والقيود والرعود والغيوم في ليلة سوداء، لم ير فيها خيطاً يبرق برقة خفية أو يلمع للشروق... وغاب بعد غياب الشمس واختفاء القمر...

★ ★ ★ ★

الجثة لا تعني شيئاً روحيا... جسد ملقى على الأرض، يمد يده، يصرخ في الشروق، وساقان متنافرتان، كأنه يتخبط في بحر هائج، فوقه سماء مكفهرة، تبرق للموت لا للشروق...

لا يظهر نجم واحد ينعش فيه أملاً صغيراً، أو موتاً يعني له بداية الطريق.

وجهه ينكفئ على الأرض يصرخ في باطنها يبحث عن شيء يضيء فتيلة في عقله او ترنيمة بقلبه، لم ترتو عشق نور سرمدي أو آني في لحظات تآكل اللحم مع العظم في ظلام يغمر الوجود، ويقتل الطفل قبل الولوج إلى عالم غير الأحياء.

جسده نبوءة تقول: « إنه لم يمت، ينام باسترخاء وعبثية من يقلق فينام كيفما اتفق... اشتد عليه الأرق فنسي كيف ينام، فأصبح سريره الظلام في لحظة الغفوة الحرارية، التي لم يدرك فيها كيف أضحى الجسد في هذا المشهد الدرامي..

★ ★ ★ ★

تجمهر القوم حول الجثة في البرد القارص، والغيوم تلف الزمان تنذر بصاعقة وسيول أرض لم تر الماء منذ سنين... نظروا إلى الجثة نظرة واحدة... فاختلفوا عليها وتعددت الأقوال... فظهر الإبداع في حبك التخيلات... ادّعى أحدهم أنه شاهد ما أخجل الفتاة البض التي تقف على ناصية الشارع تتلقف الأخبار من أفواه المارة، فالمرأة تفقد أعصابها عند النظر إلى الجثة...

هل انتحر؟! أم مات بذبحة صدرية؟!ولم هو عار؟! أين ملابسه الداخلية؟! ربما قتل!!

كثرت القصص في البحث عن المجهول في أمر الجثة

الغريبة. وتملكت العوام قدرة عجيبة في خياطة الكلام، من لم يشاهد الجثة شارك في حبك القصة الكبيرة... ونشرت الجريدة أسطورة... والمذياع أسطورة... والتلفاز ثالثة...وفي البقاع المحيطة تعددت الأساطير.. طير.. طير.. حتى النخيع الأخير..

من أين أتى؟ من قتله؟ كيف قتل؟ لماذا لم يحمل أوراقاً ثبوتية؟ كيف لم يشعر به أحد؟ ألم يصرخ قبل موته؟ أين الشرطة؟ أين حارس الحي؟

أين... لِمَ... كيف... متى...؟!! أسئلة كثيرة كفنَت الجثة... وقد يجدالخيال للسؤال ألف جواب..!

في ملف الجثة عند الشرطة: كل شيء مجهول... وتنشر الجريدة صورة الجثة، وتكتب في أسفل الصورة: «يرجى ممن يعرف شيئاً عن صاحب هذه الصورة أن يتصل بأقرب مخفر للشرطة».

ويصدق المدعي العام على دفن الجثة في مقبرة الحكومة المخصصة للمجهولين.

★ ★ ★ ★

في كل الأحياء والبيوت للجثة تاريخ... فهذا الطفل ولد ثالث يوم اكتشاف الجثة، وذلك ربما تزوج ليلة الجثة،

والثالث اختلف مع زوجه في شهر الجثة، والرابع ضبط يغازل عشيقته قبل الجثة بأيام، وعمل له محضر في الشرطة، أتهم فيه بخرق حرمة المنازل.

وفي بلاد البلابل أغير على المخيمات بعد عشرة أيام من اكتشاف الجثة، كما اكتشف في هرم خوفو مؤامرة على منقرع... وتنافس المؤرخون في كتابة التاريخ يقدمونه لولي النعمة، ويصفعون الرواية بحجة أكل الخبز... فالخبز هو التاريخ... هو التاريخ... وهو الحاضر...

★ ★ ★ ★

جرت الليالي كما تجري طبول العرس... ومن خلف العالم الصغير، من وديانه المنسية ظهرت عجوز في الستين من عمرها، كل الملامح فيها تعني قطعة أثرية تراكم عليها الغبار... فنفضت ووضعت في متحف قديم...

العجوز تبحث عن ابنها... تعيش الضياع والتشرد والمدينة الصغيرة التي ترفض الجائع والمتسول... بقايا السجائر تلقى على ناصية الشارع تدوسها آلاف الأقدام البالية... فقدته عندما كانت في أشد الحاجة إليه، كان يعمل بما يسد رمق العيش الهش، ولم يفكر بالزواج، فقد أخبر العجوز أنها كل شيء في حياته...

ثرثرت بكل شيء للشرطي المنتفخ... وأخبرها الشرطي: «إني انتظرت شهرين من أجل أن يأتي أحد»... قال الشرطي ذلك ورمق العجوز باحتقار، إنه لا يحب الحديث في أمر الجثة في القبر محط رحال الديدان الأرضية... والسؤال عنها يعني إزعاج الشرطة التي لا تفضل الحديث عن المجهول.

وهذه العجوز تحاول إخراج الروح من ظلام القبر إلى عالم التاريخ المهجور والأسطورة الشعبية.

قالت العجوز: « لم أتوان لحظة واحدة في البحث عن ابني... وقد تعثرت بي الطرق... إلى أن رمت بي صورة لخبر مشوش عن جثة في حيكم، وأرجو الله أن لا تكون الجثة لابني...».

★ ★ ★ ★

تنازع الرواة والرعاع حول الجثة والعجوز تبحث عن ابنها حتى بين الأموات... لا تريده أن يموت قبلها حتى لا تتشرب حسرته... كما تشربت حسرة أبيه عندما كان الابن طفلاً...

بكت العجوز كثيراً. توسلت إلى الرب أن يحفظ ابنها من شر كل بخاس خناس...

إن حياته النور المتبقي لديها على ظهر البسيطة، لماذا

يموت؟ إنه ما زال في ريعان شبابه!! هل هرب مني؟! هل قسوت عليه؟! آلاف من الأسئلة تتصارع في دماغ عجوز...

بعد يومين من رحيله لم تذق طعم النوم.عجوز تبدأ رحلة البحث في كل الطرقات والبيوت، تأكل ما تيسر من صدقات الفقراء. ولا يوجد في الدنيا شيء أغلى من الضنى.

هو من عاشت له.. ومن أجله.. رفضت كل الأزواج الذين تقدموا لها بعد وفاة أبيه.

بصمت تلعن نفسها تؤنب ضميرها، ترفض موته، ليتها لم تقل له حقيقة ما جرى في الزمن الغابر. إني قتلته.. تحرك لساني فكان هلاكه...

العجوز تموت تقاتل جسدها المنهك... قبل قول الحقيقة عاشت مرارة الأيام، مرارة الصراع بين السر والجسد... وانتصرت إرادة البحث، إرادة الصراع مع الزمن...

★ ★ ★ ★

الزمن الذي يجري غير عابئ بما يحدث للتشرد في البحث عن الحقيقة التي أسدل الظلام عباءته السوداء عليها. ولكن الحقيقة تقف كمتراس في وسط القيود، تعلن أنها السفينة التي تدق ناقوس الخطر. ويردد الصدى خطر.. طر.. طر..

ترددت الأصداء في كل بقاع العالم الصغير، وانتشرت الحكاية، وتعددت فيها المذاهب والفرق والكل يهذي بأمر الجثة.

تعرفت على الجثة امرأة عجوز، بل صبية يانعة الورود كانت تعشق الجثة... أحبته.. لكن ولي الأمر قتل هذا الحب في طفولته. فتتوج الحب بالجنازة فجاءت الصبية تبحث عن الجثة، تبحث عن العشق الضائع في سراديب القبور، عن الذاكرة المقتولة في لحظات الضياع، عن الشمعة التي لم تجد النار... في أحشاء تتهيأ لطفل موعود... فالأمل يموت، والشمعة تموت، وتضيع الحكاية بين القيل والقال، وتبرز الجثة أسطورة الماضي والحاضر...

لعن آخرون هذا الهذيان... وصعدوا التأريخ.. وأدلوا بالحجة والمنطق: «إن الجثة حكاية...حكاية تكمن في قصة ثأر قديمة... قد قتلت الجثة عبد شيخ القبيلة، وها هي القبيلة تقتل الجثة...».

ويتجذر خوف الضعفاء من شكل الجثة؛ من صورتها المتحدية.. والسذج يعتقدون بأن الشرطة تعرف الحقيقة..

ويختلف الراعي مع سيده، فيرفض قيادة الغنم في المرعى. فالجثة تلاحقه في صورة مارد يقتله في كل لحظة بعد

منتصف الليل... يظهر المارد يصرخ في الظلام... يصدر منه الموت وخرير الدماء... لم يعد الراعي يعي ذاته من شدة الخوف، تقتله أيضاً الغنم، عندما تجتر تضحك عليه... والكلب ينام عند اشتداد الصراخ... والحمار الذي يركبه ينهق فيزداد الليل رعباً... والمارد يقترب شيئاً فشيئاً... إنها ساعة الفرار من شبح لا يموت... ومن صورة تكشر عن أنيابها قادمة من السماء أو الأرض... لا أدري.

★ ★ ★ ★

قال الشرطي للعجوز: إن ابنك أقصد إذا كانت الجثة ابنك، قد دفن وإخراجه من القبر كي تتعرفي عليه يحتاج إلى أوراق رسمية أنت في غنى عنها، وبإمكانك أن تتعرفي على الجثة من الجريدة...

أمسكت الجريدة... يداها ترتعشان وجسدها النحيل ينتفض... حملقت في الصورة... دارت بها الأرض، وضاقت عليها بما رحبت...

قال الشرطي: ها، هل تعرفت عليه، انظري جيداً، تبيني علامات الصورة إنك غير قادرة على الرؤية والتمييز!

ألقت الجريدة على الطاولة في وجه الشرطي. خاف الشرطي وصرخ: أخرجوا هذه المرأة المجنونة إنها لم تتعرف

على الجثة.

★ ★ ★ ★

خرجت تتوكأ على عكازتها سارت في طريق مجهول... رآها الصبية... فرأوا صورة غريبة.

سجل الشرطي في محضر التحقيق « جاءت لتتعرف على الجثة عجوز اسمها صفية بنت غبار وقد جنت وفقدت صوتها... ولم تتعرف على الجثة، وتدعي أن لها ابناً مفقوداً، ولم تقل عن الجثة شيئاً.. » ووقع..

نشرت الجريدة محضر الشرطة، ولم يصدق القوم أخبار الإذاعة، فكثرت الفتاوي وظهر من يدعي في الأمر حكمة، وينسب للعجوز الخرافة والخرفنة... ضاعت الحقيقة مرة أخرى والجثة في القبر لم تخضع للتشريح.

واختفت العجوز كما اختفى المهدي المنتظر...

★ ★ ★ ★

صاح الديك الأحمر ثلاث صيحات معلنا ولادة الفجر، وقرب إشراق الشمس في ليلة ربيعية، تعانقت فيها الورود، تلتصق خوفاً من أقدام تجري بين الحقول هاربة من نباح الكلاب التي تبحث عن رائحة الجثة بواد ذي زرع وماء...

المنتدى – دبي

الطقس الأول من احتفال العنقاء

في جنوب الجنوب... أخرجت بلدتنا جيلين: الأول «طق التنك» و «زقر» الحجارة وراء العشاق، والثاني قذف الحجارة الصلدة في وجه الاحتلال البغيض.

مات الجيل الأول... وولد الجيل الثاني... القصة المرفقة وجدتها إحدى مخطوطات عشاق قريتنا... حققتها وعنونتها...

– الراوي –

أعلن للملأ في هذه الساحة الموبوءة العامة التي يعدم فيها سيدي أنني غبي وسخيف للغاية... وكنت جاهلاً حتى الثمالة... فأنا أحببت أنثى تنكرت لي ولم أتنكر لها...

علم الناس بقصتي معها، فقرعوا ورائي بقايا التنك، وتعالت أصواتهم المشبعة بالسخرية والتشفي:

«المجنون أهو... المجنون أهو...

المجنون أهو أهو».

وها أنا الآن أتجرد من خوفي ومن حقدي عليكم، وأقف على رؤوس الملأ الممتلئ بالسخرية والمشبع بالضغينة، وأعلن لكم: «أن المجنون أهو.. الحمار أهو».

قال الراوي: عندما كان عاقلاً قالوا عنه «مجنون» ولما جن قالوا عنه «عاقل».

ها أنتم تجتمعون اليوم لأسفح عقلي أمامكم، كما سفح سيدي رأسه بالسيف المثلوم أمام عيونكم...

أين صغاركم ليطقوا التنك؟؟...

وأين تلك الأنثى التي ماتت قهراً عندما قتلت عشقها لأجلكم؟

وأين كتاب الحكاية، حيث تحفزوا لاعلان موتي أو جنوني، ليتخلصوا من أشلاء حبي المهدور على عتبات رقصات الصبية مع أعقاب التنك المغسول بالصدأ؟

وأين شيخ القبيلة الذي علق القلوب على أعقاب أعمدة البيوت القديمة، وحرم تزويج تلك الأنثى ممن أحبت؟؟

هل كانت البيوت أنيسة يوما ما؟ أم أنها احترقت بلهب الشقاء باحثة عن العشاق أينما كانوا ليتوبوا؟

هل كانت تلك الأنثى أنيسة عندما أعلنت للآخرين أن لا دخل لها بما حدث، وأن على شيخ القبيلة أن يتصرف، وأن عليهم ألا يعاتبوها عندما يتغزل بها معتوه أو «مراق طريق»؟

قال الراوي: إنه سفح دمه، كما قطع سيده رأسه هنا،

بعدما تقاطبوا عليه، وطقوا وراءه التنك.

أشاحت بوجهها عني قدر خطوات الشارع التي فصلت بيننا عندما كنا مارين متقابلين، وتعمدت أعين المارة النظر إلينا، وتساقطت سهام العيون من نوافذ مشرعة البرادي.. لم يروا غير لشاحة الوجه عني وهي تسير في الشارع مبالية بكل النظرات الهاجمة عليها أو علينا معا.. حينها كانت السبب في حملهم بقايا التنك، ليقرعوه ساخرين مني.. ومن كل العشاق السخفاء.. وكانت هناك أنثى واحدة، جفت مدامعها عندما شاهدت سيدي يسحب مسدسه من دفة حزامه الأيمن، ويقرع الطلقتين في شعره الأشيب.

قال الراوي: كانت المرأة حاملا في شهرها العاشر، وكان الأطباء لا يملكون شيئا إزاء عصيان الولادة.. ومكثوا أياما يطقون التنك علّ الولادة تحدث.. لكن الحالة تجاوزت طاقاتهم البائسة، فتعبت أصابعهم، وتعبت الساحة من الذين قتلوا أنفسهم، كما فعل سيده عندما أحرق سلاحه، وقرر أن يموت بعد موت النصيحة..

وأنا لم أفعل شيئا عندما أشاحت بوجهها الخمري.. حيث اكتفيت بالنظر إلى الناظرين نحوي، لم أملك إلا اعتلاء الهضبة المتوسطة للساحة، ناديت عليكم كلكم، ولما حضرتم حملت مسدسي، وقرعته في رأسي، وأعلنت موتي، كما

أعلن سيدي موته..

قال الراوي: ما زالت تلك المرأة تبكي بهديل موجع، يأخذ الجسم برعشة الموت؟!

كان سيدي هو المقتول، وكنت أنا الضحية، وامرأة سيدي ماتت مثلما ماتت رابعة العدوية، وقيل إنها ماتت بعد أن تسللت لتناجي قبره، هل كنت قاتلا أم مقتولا عندما أعلنت توبتي كما تاب سيدي؟! هل كنت جلادا لنفسي وجسدي عندما ألقيت سلاحي مؤثرا صرعة الموت؟.. لم أعلق على موتي!! هل أصبحت أنا غير أنا كما أصبح سيدي غير سيدي؟!...

قال الراوي: عندما التقى مع سيده، بعد غيابه، ناقشه في أسرار الحكاية، ولم يتفاجأ عندما قال له سيده بصوت هادئ غير حزين: «يجب أن تضع رأسك بين الروس، وتقول يا قطّاع الروس، فالموت مع الجماعة رحمة»...

انتهت حكايتي كما انتهت حكاية سيدي، وتاب حماري كما تاب حمار سيدي، لم نعد نزعج أحدا، ولاة الأمر، حراس المدينة، ولايتي على نفسي... ولم أعد أبكي على أخت العدوية التي أشاحت بوجهها عني، لأنها ربما

بكت لأجلي بعد موتي... وربما ماتت من أجلي... وربما عدنا للحياة معاً.. إننا رأينا الحراس هناك يزاولون مهنة السوط مع أحياء، ليجبروهم على أن ينتحروا...

قال الراوي: كانوا يولدون مثل العنقاء، لأن احتفالات موتهم هي احتفالات ولادتهم...

قوافل – الرياض

فنـــان

وقف الفنان التشكيلي يتحدث عن فنه، فكان أكثر من مهذار.. هكذا أجمع الجميع فالمسكين أكلته الألوان الصامتة فجن جنونه... كان عليه أن يتحدث ويتحدث ويتحدث... ولا تصدقون الحكاية عندما أمسك بصحفي ناشيء، وأخذ يردد في وجهه «أنا أتوقع لك شأناً عظيما في المستقبل.. كل الذين يحضرون لمشاهدة الفن التشكيلي هم عظماء...وأنت عظيم «.. وقد لا تصدقون أن الموقف كان حزينا للغاية..

قال الفنان التشكيلي: إنه لم يعد يعتز بهذه اللوحة التي تشبه المونيليزا التي رسمها في مرحلة مبكرة من عمره عندما كان مراهقاً وهو الآن في الأربعين.. ولم يعجب هذا الكلام مثقف في مرحلة المراهقة حيث أبدى إعجابه بها..

وأكد أنها رائعة وأنها مونيليزا بدوية.. ضحك الجميع.. وكان الحديث يدور في «عشاء الدجاج المشوي» حول المونيليزا البدوية..

قال الذي كان ينصت بعد قلق:« في الحرب العالمية

الثالثة – التي لم تقم بعد – وضعت الموناليزا في حفرة، وكانت بقايا البشر ترجمها بالحجارة.. وتمكن طفل ما من سرقة بسمتها والاحتفاظ بها.. وأنت ما دمت لا تفضل هذه اللوحة، فدعنا نخرجها إلى الخلاء ونرجمها.. وإن حزنت لأجلها فاسرق بسمتها.. واهرب إلى حيث تشاء...

(إلى الصديق المبدع في التشكيل)

الجدار القذر

يغسل قدميه في اليوم الواحد ما يزيد على خمس مرات فهو يصلي الخمس.. وفي كل مرة يطلب الوضوء من أجل أن يحرك جسده المتلبد.. إنه يقضي اليوم ما بين رطوبة الزنزانة واللحظات من أجل الوضوء.. ولا يبخل بالماء وهو يغسل رجليه.. فالماء للحكومة وعلى حسابها.. «والذي ببلاش كثر منه»..

لكن الجندي المكلف بالحراسة يقف له بالمرصاد.. فيتنبه لخرير الماء .. فيزجره بصوته الخشن: « يكفي؛ هذه جلافة؛ توضأ بمقدار كأس؟.

وحتى يتلاشى الشر يجعل تسرب الماء من الحنفية خيطا محدودا لا يخرج خريرا.. فهذا أسلم له من مشاكسة الجندي الذي أوقفه عدة مرات مشبوحا من أجل الحنفية الموقرة.. وقد أوقفه آخر مرة عشر ساعات، لأنه غسل رأسه بالماء البارد بدون إذن.. فالرأس لا يجوز غسله إلا يوم الجمعة.. فالمال للحكومة، ومال الحكومة ليس سائبا!..

★ ★ ★ ★

جدران الزنزانة تميل إلى الأسود.. ليس لأنها دهنت بهذا اللون.. وإنما اكتسبته من طول عهدها وتاريخها الموغل في

القدم.. وملامسة جدارها أمر غير صحي للبشر الذين يخافون على جلودهم من داء الجرب، حيث تتحول البكتيريا إلى الجلد.. فتبدأ الحكة ويكثر القمل الذي يستغرقه وقتا طويلا وهو يبحث عنه في ثنايا ملابسه.. فيخرج بعضه ليخفف من حدة اللسعات الأفعوانية..

رفع رجليه بعفوية، ووضعهما على الجدار من أجل أن يحرك الدورة الدموية.. يلمحه الحارس من بعيد.. فيطير إليه بسرعة البرق.. يهز الحديد صارخا بأعلى صوته:«نزل رجليك يا وسخ يا ابن الوسخة.. هو الجدار بشكير تمسح فيه رجليك الوسخة».

أنزل رجليه بهدوء لاعنا في داخله الدورة الدموية والجندي الذي يخاف من تلوث الجدار النظيف!!

نظر إلى أسفل رجله اليمنى، فوجد منتصفها هو المسافة الوحيدة التي لم تتلوث.. وقبل أن ينظر إلى أسفل الرجل اليسرى.. كان الباب يفتح.. يأخذه حارسان.. فيشبحاه وقوفا إلى زمن غير محدود..

شعر بالدماء تقفز من عروقه.. وفكر ثم فكر.. فأعلن بصوت خافت، وكأنه يخاطب كل الجدران: إن قيمة الإنسان عندنا أتفه من قيمة جدار قذر...

الموقف – دمشق

التبغ واللعنة

آخر ما توصل إليه عبد الله المسكين

تدبر عبد الله المسكين، ثم فكر.. فحدق في نفسه، وقال: لقد كتب عليك أن تكون مسكينا.. عندما كنت واقفا على أرض الفقراء، رأيت الغني تبغا، يأكل أحشاءك.. ولكنك كنت مطمئنا، وتمازح بائع البقالة الذي ما انفك ينصحك: «لو تشتري بثمن بكيتين الدخان وقية لحمة لأصبحت مثل البغل».

- اسكت يا عم أبو مناور، بلاش تقطع رزقك!!

وكنت ترى في نظراته إليك الشفقة والترحم، ويكاد يعلنها صراحة، تتفتق شفتاه عن هضاب صلدة، تتلاصق حتى الشمالة، لتقول: «مسكين» وتحمل علبتي التبغ..

تخرجت منذ سنة، ولم تجد عملا، تعود إلى أمك حيث شوارع الجامعة الفسيحة، حيث الصبا والمودة.. وتلقي بكل الهوم، لتعترف أنك ما زلت طالبا.. وما أن تخرج من البوابة حتى تترك وراءك الوجوه الفرحة.. تنظر إلى السيارات الجميلة.. وتحتذي باص البقعة.. تسمع الأصوات الآلية والصخب البشري، تتجمع في رأسك الدوامة، ويفتح السائق

المذياع فيأتي صوت «أم كلثوم» الذي لم تحبه قط صوتاً مقبولاً فقط في باص البقعة...وتشعر بارتياح عميق عندما يلفظك الباص قرب مفرز الشرطة في «صويلح»...

كانت بلاد الفقر وردة بيضاء ناصعة... كانت أرجوحة الأحلام وبراعم التفتح العقلي، وكان التبغ هو كل شيء... لكنك عندما تجلس مع الناس تبدأ أحاديث المكاسب والأموال، فترحم على نفسك، وتشعر بالانزواء وتخنقك الألفاظ... تهيم على وجهك، تشتري دجاجة أو دجاجتين.. تدعو إليها أو إليهما ثلاثة أشخاص، وتدقون «الطرنيب».. وعندما تخلوا إلى «شياطينك» تحلم...

تخرج إلى حيث الغنى والثروة.. وتحلم ثم تحلم ثم تحلم، وتبقي كما أنت... تترك التبغ بعد خمس سنوات.. يتضخم الكرش.. تكتسي العظام لحماً... وتبقى كما أنت تحلم...ولا شيء غير الحلم...

تتلاشى الأحلام شيئا فشيئا... تقبع في أعماق البئر الرملي... تنظر إلى المجهول، وتنادي بأعلى صوتك «مدة الاستخدام: السنة بأربع سنوات»... تنظر إلى نفسك.. وبعد مشيئة الخالق «هل مكثت ثلاثين عاما؟! وماذا فعلت؟!»

وعندما تصر على أنك ما زلت تحلم، لا تحصل على التبغ بل

تأتيك اللعنة.. فأنت ملعون. كيف تكون في أرض الثراء بلا ثروة...؟!

وتصرخ: لقد كنت عاطلا عن العمل، فأنا آكل وأشرب، ولا شيء غير ذلك!!.. هي القصة نفسها: رجال... وطريق.. وبراري...وتكتب عن الحلم!!!

الثقافية – عمان

أرض

في أحسن الأحوال نحن نلاحق العيار إلى باب الدار.. وهل تعرف ما معنى العيار أيها السيد الفاضل؟! لا، أسمعه من الناس يرددونه كثيرا!!

ها هم يصفقون.. وها هن يرقصن.. وها هو يعتلي سلماحتى يبدو كبعوضة يخطب خطبة بلا معنى ولا رائحة!!..

إنهم يحولون الـ ٥٪ إلى مدن متناثرة في صقيع بارد بلا أغطية.. وحتى تعيش عليك أن تحفر في غير الأرض لأنك لا تملكها.. بالضبط فأنت جيد للغاية لأنك تحفر في ذهنك.. تغوص في اللحم.. تتآكل.. لن يبقى منك شيء بعد عشرة أعوام، لأنك ستصبح أحفورة بلا معنى ولا رائحة.. لا تبك على حالك.. دع الأجيال القادمة تحل المسألة.. وقد تجد نفسك في متحف من الكرستال..

ما تفعلونه الآن هو رائع، لأنكم لم تضيعوا الفرصة.. آه لو قبلناها قبل عشرة أعوام قبل عشرين عاما.. قبل ثلاثين عاما.. قبل أربعين عاما .. قبل أن نولد.. يا إلهي إننا الآن محظوظون .. وفي تلك الأزمنة كنا أغبياء.. ماذا لو قبلنا بعد

عشرة أعوام..؟ كارثة!! وماذا لو قبلنا في نهاية عشرة أخرى بعد العشرة الأولى؟.. بكل تأكيد لن نكون موجودين حتى نقبل ما يقررون!! إنها أحافيرنا التي وجدناها في حفر لم تحفر بعد. يجب أن نتآكل حتى يطمئن الآخرون..!!

ولادة عبد الفتاح

عقلك ساذج جدا...

كان سني الصغير لا يشفع لي ويحميني من الغباء الأسطوري الذي زرع في مخيلتي منذ اللحظة التي بدأت فيها أنام على قصة...

ترويها لك أمك، أو ابنة عمك الكبيرة، أو امرأة أخرى من النساء اللواتي يترددن على بيتكم القديم.. فتتعلق بهن تطلب حكاية ما.. أو قصة رعب تخيفك.. من القصص التي تدور حول المقبرة وأهلها.. هذا العالم المجهول الذي لم تدرك منه غير الأرواح المتعايشة تحت الثرى أو في السماء..

كنت أخاف من القبر حتى في السن الذي تجاوزت فيه الكهولة..

بحثت في معجمك اللغوي..

عدت إلى المغرق في لعبة الأسطورة، بحثت عن الجذور الذي جعلك تقتنع - على سبيل الحقيقة - أن اليهود مجموعة حيوانات: بغال وضباع، وكلاب وحمير، وأغوال.. لم توضع الصورة في ذهنك مجازيا.. كانت بساط حقيقة..

لم تجد شيئا يعيدك إلى خيوط مربوطة بأساطير أو حكايات زرعتها في دماغك الصغير أمك أو ابنة عمك، أو امرأة أخرى.. كل ما تذكره هو أن أمك رفضت القص بعد أن حجت.. فبحثت عن مصادر أخرى اختلطت عليك...

من؟؟ من ذا؟؟ كيف؟؟ متى؟؟ من أين؟؟ لماذا؟؟ أسئلة استنكارية كثيرة طرحتها، وفشلت في الإجابة عليها. تشكلت عندي قناعة أكيدة مفادها أنني كنت الغبي الوحيد آنذاك.

كنا في قرية يحجر عليها الوعي. تعيش وعي الأغنياء السذج/تعلك قصة جدنا الذي علق في الحبل عندما حاول أن يبين للدرك أن الأرض أجدبت، فلم يزرعها قمحا. فطالبوه بدفع ضريبة القمح ولأن الأيام «سفر برلك» قتلوه.. وأخذوا ثوبه..

توقف جيش الغزاة في ساحة القرية.. تفاجأنا.. بُخت علينا المياه الباردة.. غير معقول.. معقول ونص.. غريبة.. قبل دقائق كان المذياع اللعين - اشترته القرية كلها قبيل الحرب لتسمع الأخبار - يجعجع، ونحن مزهوون به.. ماذا كان يحدث لنا لو لم نشتر المذياع؟.. كنا سنموت قهراً لأننا في قاع الخريطة..

استطاع جيشنا العربي الأبي الباسل أن يجتاح الأرض العربية المحتلة، وأن يحاصر العاصمة المحتلة.. ولم يبق على النصر الحاسم إلا ساعة أو أقل..

جلجلت الموسيقى.. وبدأت مطربتنا المحبوبة تغني: «بالله تصبوا هالقهوة، وتزيدوها هيل، وتسقوها للنشامى عظهور الخيل».. تصارخ الناس اليهود .. اليهود.. فأغلقنا المذياع.. لم نصدق الحكاية.. قلنا: هذا جيش الإنقاذ.. وتحوطا أخفينا المذياع، لنتأكد فيما بعد من الأخبار.

جاء الغرباء بعيونهم الزرقاء، وشعورهم الشقراء، وقاماتهم الفارعة..

انتهت الكذبة.. قبل الأغنية!!

كنت غبيا.. وكان المذياع يهذي.. وكانت أمي التي ركضت في الشوارع تبحث عني غبية هي الأخرى..

سأل الجندي بلغة عربية ركيكة تميل إلى الأنوثة: «وين المختار»؟

تقدم المختار يعلن بصوت أجش «أنا المختار»

- واحنا جيش الدفاع الإسرائيلي.

- أهلا وسهلا - قل لأهل القرية: لا نريد المشاكل.

- يا خواجا، قريتنا لا تحب المشاكل.

- هذا ممتاز

كانت هناك امرأة تجلس بجانب الرجال، وتحمل قنبلة كبيرة، وتبتسم ابتسامات أكثر جاذبية من أية امرأة في العالم..

«يا أهل القرية: نحن جيش الدفاع الإسرائيلي، جئنا إليكم كي تتعاونوا معنا، وتحافظوا على الهدوء وسلامتكم.. سلموا كل السلاح الذي عندكم. ومن لا يسلم سلاحه سيتعرض إلى العقوبة الشديدة.. كل السلاح.. من يتخلف عن تسليم السلاح، يعرض حياته وحياة أهله للموت والخطر.. كل السلاح».

قال المختار: «نسلم السكاكين يا خواجا»؟

- سلموا البارود.. كل البارود.

التفت المختار إلى الناس ولم يكن حوله إلا النساء والأطفال وقال:

هاتوا السلاح.. ما ظل فايدة... سلّموها وانتهى الأمر..

جال صوت السماعة في القرية فتجمعت الأسلحة

البالية.. وخبأ ذلك الرجل بارودة الصيد حتى أكلتها رطوبة «الحيط»...

★ ★ ★ ★

هل صرخ داخلك؟ لعبت؟؟ ضحكت من كومة الاسلحة المشوهة؟؟ تشوهت طفولتك أم قمت من نومك وغبائك؟؟!!

سألت كيف كنت تتصور اليهود قبل الهزيمة؟؟!

وصلت إلى قناعة لا مجال للشك فيها.. جعلتك تعترف بأنك لم تكن الغبي الوحيد آنذاك وأنه لا بد من أن تعمل شيئا يا عبد الفتاح.. إنه يوم ولادتك.. وبدأت تفكر في طريقة تقنع بها الآخرين بأن لا يسلموا أسلحتهم بهذه السهولة.. كنت طفلا.. وكنت تحلم.. ومازلت.. وستبقى...

الحرس الوطني – الرياض

تفاصيل ليست لكم

حمل الرجل الضخم فراشه الذي تناثر مساء على ناصية الشارع، وهو ينظر حوله مرتعبا من شخص ما قد يراه، فلا يعود قادرا على لملمة الأمور.. ولم يكن الخوف المختبىء رعبا إلا من ذلك الجار السمج الذي لا يفتأ يتذكر الأشياء القبيحة عندما يلتقيان مع آخرين في مناسبة ما خاصة بالتجمعات التي تختزل كل الأشياء إلا طق الحنك..

صكت المرأة الضخمة الباب الخارجي والنوافذ المفضية إلى الشارع.. وجلست تتحسس جبهتها تبحث عن حرارة ما اثر موجة الصداع التي تجتاحها في مثل هذه الأوقات.. ألقت به وبفراشه إلى ناصية الشارع.. إلى الجحيم أيها الرجل الضخم الجثة واللسان الممدودة كالملقط..

★ ★ ★ ★

لا شيء بيده يفعله.. في الماضي كان يقرع الباب، ولا تفتح له إطلاقا.. يصحو الجيران، وتصبح فضيحته بجلاجل كما يقولون..

★ ★ ★ ★

حالة من الجنون تنتابها عندما ترى العفاريت تتقافز أمامها أو تتنطط هازئة بها.. يحدث هذا عندما يعيرها برشاقة امرأة ما.. «أنت كتلة من اللحم».. وهو لا يقل عنها

ضخامة..

★ ★ ★ ★

جمعها بعد أن تناثرت في الشارع، وحمد الله أنه لم يقع فريسة تلك العين اللعينة.. توجه إلى السطح وتدثر بالأشياء التي تجمعت لديه.. وحمد الله مرة أخرى أنها ألقت معه ما ألقت حتى لا يصبح ليله مع هذه البرودة المثلجة كطول السنين العجاف..

★ ★ ★ ★

لعنت الشيطان.. كبرت على هذه التصرفات.. «إذا كان حبيبك عسل ما تلحسوش كله».. وهي بصراحة زودتها.. الرجل لم يتفوه هذه المرة بكلمة.. فقط تذمر من ضخامتها.. هبت في وجهه صارخة كنمرة هرمة أتريد أن تعيرني بفلانة وفلانة؟ حاولت أن تراجع نفسها لكنها قررت ألا تتراجع عن موقفها حتى لا يتعود على الاستهزاء بها.. وقالت: إلى الجحيم...

★ ★ ★ ★

لن يحاول معها. قرر أن يصمد فوق السطح حتى الصباح.. حاول أن ينام. ربما غفت عنياه..

★ ★ ★ ★

تركت الباب مفتوحا ومردودا حتى يعود.. هذه المرة

الوحيده التي تفعل ذلك..

★ ★ ★ ★

استغرب من الحالة الديموقراطية الجديدة التي تصرفت بها.. دفع الباب فاندفع.. غسل وجهه.. حمل بطاقة الانتخابات، وتوجه إلى صناديق الاقتراع لينتخب رئيس الجمعية السابق في الانتخابات الجديدة..

★ ★ ★ ★

كانت تراقبه مدعية النوم.. وبعد أن خرج تناولت بطاقة الانتخابات وخرجت لتنتخب المنافسة الوحيدة في الانتخابات الأولى في بلاد «واق الواق» بعد الحرب الأخيرة..

★ ★ ★ ★

هي المرشحة الوحيدة لرئاسة الجمعية، وهو منافسها الوحيد.. هل كانت تحلم.. هذا غير معقول.. إنها تتحول من امرأة ضخمة إلى نفسها، ولكن أنيقة «وسمبوتيك» وصورتها تملا صفحات الجرائد المعارضة.. إنها لا تجد متسعا من الرقت لكثير من الأشياء..

★ ★ ★ ★

كان واثقا من النصر.. هي منافسته الوحيده.. والناس

لن يضعوا ثقتهم في امرأة.. ولو حدث ذلك فسوف تتحول الأمور إلى مسخرة..

★ ★ ★ ★

حاول معها أهل الخير أن تتنازل عن المنافسة... رفضت بإصرار.. لم يتمالك أعصابه فصفعها... خرجت إلى السطح تحمل جسدها المترهل.. كانت تصعد الدرج بعصبية وإذا بها تهوي وتهوي وتهوي وتهوي حتى سقط قلبها من صدرها..

★ ★ ★ ★

نظرت إليه كان شخيره يملأ الغرفة.. قامت فغسلت وجهها.. شرب القهوة معها وخرجا معا لينتخبا الرئيس السابق رئيسا للجمعية..

★ ★ ★ ★

قال لها: لا يمكن أن تنجح المنافسة الوحيدة للرئيس السابق..

ردت عليه: ما ظل غيرك في الخم يا ممعوط الذنب..

الأربعاء – المدينة المنورة

البقايا

يسحب آخر نفس منها.. ويلقي بها على الأرض.. لتريك دحرجة أفعوانية تحمل حقد الزمن الموبوء.. يخرج منها خيط دخاني كثيف، فزهرتها ما زالت محمرة.. تصورها قنبلة تتفجر آثارها في دماغه..

إن الرجل الآخر يسرع إليها كالمجنون.. فيمسكها بيده الحذرة.. ويضعها بين شفتيه.. فيدخن حتى اللحظة التي شعر فيها أن النار لسعته لسعة قوية.. فيلقيها على الأرض بحركة سريعة من يده اليمنى .. وكأنه يخرجها من فمه، وليس من بين شفتيه. عرفت من صديقي أنه يعيش حالة الجنون..

- لقد جن الرجل بعد أن حكم عليه بالسجن المؤبد!!

- الحق معه فقده الوعي، أو فقد الوعي، فالأمر لم يعد يشكل فرقا كبيرا.. فإذا كنت مجنونا فهذا يعني أن تزيح عن كاهلك كل الأشياء التي تقبع فوق كواهل الآخرين.

- ومما زاد في جنونه أنه يحمل جرما، لا يحشره ضمن الأحكام التي تخفف أو يفرج عنها في الأعياد والمناسبات إنه التجسس!!

★ ★ ★ ★

لم أعد أبالي به عندما أراه يسير بسرعة جنونية، يضرب كفا بكف.. ويرطن بلهجة لا يفهم منها غير توعده لإنسان ما يقبع خارج السجن..

جلستُ على المقعد الخشبي قرب المقهى السجني.. وألقيت بقايا سيجارتي، وإذا به يجلس بقربي وكأنه كان ينتظر ترك البقايا.. ليلتهمها.. فيشبع غريزة التوهج والغضب.. فالسجن لا يرحم الفقراء..

كان يجلس القرفصاء.. فاليدان تلتفان حول الركبتين .. والعيون شاردة في عالم مجهول.. والوجه الحنطي كسرته أوائل سنوات السجن.. وقد انطلقت اللحية الكثة.. لتعبر عن عمق الصراع الداخلي..

أعطيته سيجارة من علبتي..فتدفقت يده اليمنى إليها.. واليد اليسرى إلى البقايا.. فخلته يشعل السيجارة من البقايا .. وإذا به يجهز على البقايا.. ثم يشعل السيجارة.. في لحظتها أدركت كيف يكون الجنون فنونا..!!

الموقف – دمشق

القبعة والشيخ

يحمل الشيخ القبعة ويرمي بها في مهاوي الردى.. ويعود يعتصر الذكرى..

هي القبعة التي لا حقته إلى أن بلغ السبعين من عمره.. نبشت في جذوره منذ اللحظة التي توجّه فيها إلى الكتاب.. وأخذ يردد كالببغاء: ألف.. باء.. تاء.. ثاء.. ياء..

إنه يمسك القبعة يحقد عليها يلقيها من خلف ظهره.. فالعمر المديد يتحول إلى أكذوبة تخترق دماغه.. إن الشباب وروحه الحية المتشبثة بالشيخوخة.. كل ذلك لم يشفع له كي يبقى عضواً في سلسلة الحياة.. وتنقطع الصلة.. وتهدم من جذوره النكهة الفتية..

ويلهج لسان جالس وقد اكترش: ما لنا نراه يكابر.. أيريد أكثر من السبعين.. عليه أن يعايش الموت.. أن ينتظر.. أن يترك الحياة لأصحابها.. أن يموت..

والقبعة تخضب بالردى.. وينصت لخرير الموت واقتراب شبح النهاية.. إنه الموت الذي لا يبقي ولا يذر.. فتأهل يا سيدي فنحن نقدمك قرباناً للموت قبل الموت.. فتأهل يا

سيدي إنها المرأة الأعرابية التي بشرتك بالموت في لحظة الولادة فكنت المنتظر في اللحظة الأولى لتصبح منتظرا في اللحظة الثانية.. ولم تدرك الأولى حتى تدرك الثانية ..

فعليك أن تموت لتسلم من الموت الزخام في الحياة.. عليك أن تموت.. الجملة التي خجلت منك في حفلة الوداع الأخير.. وارتوتها كل النفوس.. لكن العيون تلجلجت بخوف رهيب..

الموت آتٍ لا محالة لكنهم يدفنونك قبل الموت.. فعليك أن تشنق نفسك كي ترضي كل الأحياء.لقد حاولت.. وحاولت.. إقناعهم أنك لازلت قادراً على العطاء.. وقلت وما الحياة غير العطاء جملة كررتها آلاف المرات في لحظة واحدة «وما الحياة غير العطاء».

ها هم يقيمون حفلة للوداع، حفلة الموت قبل الموت هي المقتل وهي المفصل. يا سماء انشقي وهات حسنك لتأخذي الجسد المهدود في اعوجاج العظم.. في لحظة الوداع وقبل الوداع والزمن يهرب.. ينسل كلمح البصر.. وماذا تريد بعد السبعين ألم تشبع من عمرك المديد.. فأنت لم تعد أكثر من صورة الموت في قمة الحياة وذروة الحركة..

إن عقلك الخشن تحجر فلم يعد ينتج الإبداع.. ولم يبق

به غير الجنون أو الضياع..

فارق الزمن بلحظة هدوء قصيرة.. اشنق نفسك أو انتظر على قارعة الطريق جرساً يجمع الشيوخ في بوتقة الموت.. فأنت تقدم روحك للجسد المتهالك في حفلة الوداع..

★ ★ ★ ★

وماذا بعد ذلك..؟!

إن صدرك قد عشعشت فيه العجوز التي يرفضها كل هذا الزمن المثقل بالحركة الوهاجة أو المدعاة.. والعجوز تتشبث بالجنون.. لا العقل ولا الحكمة تقمعها يا سيدي الصغير..

إنها تصرخ في وجهك المأكول.. تعيد وتكرر: لم يبق في حياتك غير الجنون.. فاطلق عنان الهذيان.. ارم الوقار في قعر مع القبعة.. وهنا سنقبل عليك لأنك أصبحت تعشق حياة الجنون..

وتصرخ كطفل عجوز.. فتغرق عيناك بنهر من الدموع.. أيها الناس السذج والبسطاء إن الذي يفقد قديمه سيفقد جديده.. فحافظوا على قديمكم كي يدوم جديدكم.. وتصرخ.. ثم تصرخ.. وكل الآذان الصماء تهوي إلى قعر مظلمٍ لا يتردد في الصدى..دى..دى..

ترتشف القهوة بشفاه مقشعرة لا تكاد ترتوي مرارتها.. فالدم لم يعد حيويّا كما مضى..

والجسد لا يشعر بعمق اللذة.. لأن العروق تهافتت كي تغتصب الظلام.. هو الوداع.. هو الفراق.. هو الركوع للعظام.. ولم يبق غير السجود.. فالحياة أكلتك قبل أن تأكلها.. وها هي تلقيك عظاماً لتقول لك: عليك أن تموت.. أو عليك أن تموت..

الشمس تلقح الرمال الخشونة.. والليل يلقح السماء الليونة.. فلا الرمل يعشق السماء.. ولا الليل يخطب ود الشمس.. وماذا تريد أنت؟!.. فالرياح لن تقبل الخمود.. ولن تقف عجلة الحياة كي ترأف بشيخ بلغ السبعين.. فأنت تميل نحو الأرض كطفل منبوذ يقترب من امرأة ما يظنها أمه.. يخاف من القبلة يطبعها على خد تلك المرأة.. فأمك الثكلى تعود إليها كمن طار يعانق السماء لحظة ثم وقع في جوف حفرة.. فالرؤية ضبابيّة.. والصوت يلهث في الهجيرة.. والمفصل يكاد يطلق المفصل.. والشيب يرتوي الجسد المتحجر كأنه الأرض تحضن الخريف.. وماذا.. وماذا.. ثم ماذا؟؟!!..

لم تعد تذكر غير لحظة الوعي بعد الولادة.. فالزمن ينساب كجرعة ماء بعد السراب الطويل.. والرمل يسكب

الماء في قعر مديد يبقر أحشاء أمك.. هو الجفاف.. فقد طار الثرى بعد الشباب..

أيها الزمن الهارب.. قتلتني.. كنت أبحث فيك عن جديد.. فأصبحت خردة قديمة..

فارحم جسدا أمدك بالحياة قبل أن يموت.. ارحم جسدا.. دا..دا..

يتناول الطبق.. يغرقه بالأطعمة الشهية.. يتخمه بكل الأنواع.. يجعله هرماً حضاريّا.. فالحفل يتحول من حالة التأبين إلى حالة الصراع الوجودي مع المعدة.. وهو صراع يشعر بلذه غريبة.. هو الجوع يا صديقي.. العبارة التي قالها النسر لصديقه الثعلب عندما أكل النسر ابن صديقه الحميم.. هو الجوع يا صديقي..

يتوقف لحظات عن الأكل بشراهة.. يهمس لمعدته اللعينه.. ما الذي جرى لك .. حاولي الاختزال.. عليك أن لا تتطيّري من الرياح قبل الخريف.. اهجعي فالزمن لن يرحم إذا لم ترحميه.. خذي من الطعام ما ندر.. والحكمة تقول: أعط العشاء للعدو.. وأنت تأخذين عشاء كل الأعداء..

يحمل الطبق المنتفخ.. يجلس على الطاولة.. ينظر إلى الأطباق الأخرى.. إن الطبق القابع في الزاوية يراه لأول مرة

يعيش في شكل الاضمحلال وكأن صاحبه يريد أن يستفز الآخرين.. أن يقول لهم: إني أغادركم بقوة الروجيم الذي يعبر عن عمق مشاعري الحزينة لفراقكم..

يشعر بفقدان الشهية لحظات.. والطبق المنتفخ تظهر فيه صورة الانتقام.. والطعام والألم.. إنه الصراع مع الثور الوحشي.. فالأمر لا يبشر بالمهادنة والصلح.. فلا مجال لتحويل الثورة إلى لحظة غضب تتلاشى.. فيعقبها الانفراج والاختزال.. وامعتصماه.. وامعدتاه..

خوضي غمارك الثوري.. واقطعي حبال الرأفة.. واحضني شعار التمرد والتطرف.. هي الحرب.. وأنت أيها الآدمي الجشع.. اقتل هذا الثور الوحشي.. وحوله إلى قطع تألفها معدتك..

فلا شيء يرتوي من عشق الحرب السرمدية إلا من تدور في مخيلته لحظة الصمت الأخير.. لحظة قبل الرياح التي تعلن عن الخريف في جوف مجدور..

وتنتهي الثورة.. ينتصر الآدمي..

★ ★ ★ ★

كان الحديث قبل الثورة يدور حول كل الأشياء عدا السياسة.. وبعد أن خمدت الثورة.. وتحقق النصر.. دارت

الرؤوس..ودارت.. ثم دارت.. تدور حول السياسة .. سه..سه..

وجاء المغني يغني.. أغنية الوداع والشفاه تلهث بترعة الجوف الشبع:

نحن نرفع الخيمة نجمة

نغني للعشق في غير وردة

نرتوي الأحلام خمرة

ونذوب قبل الشروق

في سبات عميق

هذه دنيا تزاح

وأمل يذبح من أجل كسرة

من (يخون) النعمة

(يخون) عشقه

لا تقولي كن فارسا..سا..سا..

فزماني لم يعد فيه من يركب فرسه

وأنا لست غبيا كي أركب ناقتي

فيحقق القيد وطره

... لكن

خذوا عشقي وامزجوه بكوب ماء

حتى لا يظهر لونه

خذوا عشقي واسكبوه في الرمل

قد ينبت بذره

أو يموت مع حزن رمله

★ ★ ★ ★

يا سيدي قبّل القهوة.. فها أنت تودع العلم.. تقترب من الغروب.. فالزمن الرمادي.. يتلوى.. يعلن العصيان.. يرفض الرحيل قبل الرحيل..

قبل القهوة الشقراء.. وامزج ريقك بعشقها علك تصحو من سبات وارتياح وجليد.. قبّل القهوة مرة وأخرى.. وانتظر على الشارع المنبوذ.. قبل القهوة وابتعث في روحك جمرة.. فها أنت لم تعد قادراً على شربها غير مرة.. وارتحل في زمانك ألف رحلة.. قبل القهوة مرة.. ومرة..

التوباد – الرياض

قلبها مدمي

فقدت ما فقدت.. فيد المنون لا تمهل ولا تهمل.. كانت تبكي حتى الثمالة.. وعندما تحدث مصيبة ما في الحي القريب أو البعيد كانت تشارك في البكاء والولولة... فتنهال الدموع غزيرة غزارة المطر.. كل النساء يشاركن في البكاء والنعي.. فالأحياء تشكل عمق المجزرة وأسطورة الموت.. واللسان لا يلهج بغير: «يا رب فرجك يا مفرج الكروب.. لا نملك الحيلة.. ولا نملك ردا للمصيبة».

عادات النساء تستمر سنوات.. وهي تزيد عنفوانا عندما يتعلق الأمر بالشيء المشترك بين الناس.. إنه الألم.. المقولة الفلسفية التي تتجذر في حياتنا بشكل خاص.. الأتراك.. الإنجليز.. الـ.. اللصوص.. اليهود.

فجأة تتوقف عن البكاء في حفلات المصائب.. اكتفت بالقول: «كلنا له».

سألتها باستغراب شديد: هل انتابك اليأس والهدوء؟!!

ردت ببساطة السذاجة وطفولة من تجاوز الستين.. وعيون تكاد تنفجر بحزن ينازع رمقه الأخير، يجري نحو

استقرار عنفوان الحياة في قيعان الاستعدادلمواجهة اليوم الذي تنعى فيه امرأة شاركت في كل المواجع..

- كنت أبكي حرقة.. انتهت المصائب عندي.. واحتاج إلى من يبكي عليّ!!

-كيف انتهت المصائب.. أمر لا يمكن قبوله في لحظة الفرح..

أجزم أنها لم تدرك عمق الفرق بين الفرح والألم..

لكنها ردت بعفوية متألمة: القلب مدمي!!

★ ★ ★ ★

لم أقدر قيمة هذه الجملة التي اعتبرتها ساذجة.. لكني شعرت بوخيزها يحرك جدار قلبي من الداخل.. وفيما بعد أصبحت أدرك قوة التعبير عن تحجر القلب.. بمعنى فقد المشاعر الباكية.. أو الفرحة على قلتها.. فالإنسان قد يتحول إلى آله ميكانيكية.. هذه الآلة تستوعب المصائب ببساطة.. فتصبح حدثا عاديا لا يثير المشاعر.. ويصبح الفرح نادرا وجوده.. مما يعني أنه مات منذ زمن بعيد عند أولئك الذين تحجرت قلوبهم.. أو دميت!!

ومتى ينمو الفرح؟! أبعد الموت أم قبله؟!

هذا هو الجدل المرعب في واقعنا المصاب بداء الحسرة على كل الأشياء التافهة في ظل تحول قانون الأمن إلى قانون الخوف.. بمعنى عليك أن تخاف من كل الأشياء التافهة حتى تعيش بسلام..

الموقف – دمشق

من مذكرات صرصور عام ١٩٦٧م

في بطن أمك تخلق لتكون الشقاء.. وما أن ترى النور حتى تصرخ صرختك الأولى.. صرخة تنذر بالولادة للموت الآتي.. تتزحلق كتزحلق النملة في همع قذارة البيوت الوخيمة.. تتلاشى منك بعض الأجزاء.. تلقي النفايات كي يبقى الطفل.. هي الآن تهجع بعد الولادة، حيث ترى في السماء زرقة جديدة.. إنها الولادة طفل ونفايات.. النفايات تتضخم.. والطفل نور يتحول في عالم القيود إلى نفاية..

تكبر وتكبر معك المصيبة.. تترعرع مع خميلة أمك التي تدنس بقانون الغاب.. وتعيش أحشاؤك كما عاشت أحشاء أبيك وجدك الأول.. هو الجوع والضياع وسطوة الأرجل.. وهذا العنكبوت الذي يغزو القرية في الغروب ويأخذ بكارتها في الصباح فتدفع الجزية..

ينمو أطفال في حجر الورد بعيدا عن أطفال الحي الفقراء... وحيث تزرع الأقدام الملطخة بالدماء.. يحضرون أطفالا من ضياع مشتتة، تبعد عن حيك المنزوي فيزرعون ويزرعون. تبني لهم الضياع المحدقة بالالوان الفاتحة.. حيك مقتم.. وأنت تقبع في زاوية منبوذة، لا تجد غير قنينة عطر

الموتى التي أفرغت على أبيه.. تلعب بها.. وتشم بقايا الرائحة.. تجد في الزجاجة السلوى.. وتحاول البكاء على أبيه المفقود.. لكن دموعك تتجمد .. الزجاجة الفارغة العظيمة ترتبط في ذهنك بالموت.. فكلما تذكر والده الذي مات بعد مرض مزمن - رحمه الله - لا بد وأن تذكر الزجاجة التي التصقت بها بعد الموت، حتى أغمي عليك.. وحمدت الله أنه -كطفل صغير- لم يقتلك..

تذكر كل شيءعن زامور الخطر.. تسمع والده وهو يرفض الخروج من البيت القديم إلى المغارة المجاورة..

يصرخ: «أنا أبحث عن الموت، فدعوهم يدمروا البيت على رأسي.. لن أخرج من هنا إلا إلى القبر..»

أصوات طائرات ومدافع.. كنت معه في المغارة.. كنت خائفا أكثر من خوفهم لأنهم قد يدوسون عليك بين اللحظة وأختها.. كنت جائعا..

أمي مشغولة، وأبوه مريض.. كل هذه الأشياء تتجسد في الزجاجة الفارغة.. ما أعظم قدرة الله.. كلنا مخلوقات صغيرة!!

التقطها عن الأرض، فسقطت منها، فكنت يابسا ميتا من شم بقايا العطر.. لم يقتلني أو يؤكد قتلي برجله، كما

كان يفعل.. ربما رحمني لأجل موت أبيه. لم يفضل موت صرصور معه.. كان أبوه نائما ينتظر الرحيل إلى الأرض.. إلى تلك المقبرة التي يحيط بها الروث والنفايات حيث تقيم عائلتنا الكبيرة التي بدأت تتضايق، فتخرج، وتسكن في الضواحي، حيث جئنا نحن إلى هنا أنا وأمي فقط لأن الأم هي سيدة الأسرة..

يرتحل أبوه، فلا تشعر بالأمان، ولا تحدثك نفسك بالرحيل أو الصمت أو العيش في مطبخ سيد محاط ببقايا الجاه والتاريخ المهدور..

تصرخ صرختك الثانية...

هي صرخة الجرح المتقيء.. وتسمع لأول مرة صراخك، والصدى يردد الصرخات، فتتقيأ، ثم تهدأ أحشاؤك.. وتنتهي صرخاته أيضا..

كثر البغاة.. وارتوت تربة الوادي بماء ملطخ بالرذيلة.. وشيء من دم الصراصير الذي أضحى مباحا في أقلام صراصير تتربع على الكراسي في هجيع الظهيرة، فتنام وسنة، وأقلامها تؤشر بالخطر من بعض أفراد عائلتنا .. يطالبون بقرادة ودودة أخرى تدعى «القرعية»..

ترتحل تحت الأرض.. تبحث عن البذرة.. عن نواة

صغيرة قد تنموءعن أي شيء يؤشر بسهم خفي لشريان خافت يجري بين عروق شجرة قديمة، تآكلت في الخريف، فأكلت نفسها وابتلعت جذورها..

تصر على البحث، ولا تصرخ صرخة ثالثة.. لأنها ستقتلك ولن تمهلك حتى تتقيأ.. بل ستجد رأسك في الشارع منبوذا.. لن يجد أطرافه.. الشمس تغرب، وتترك ظلمة الليل وحكاية التعلق بزجاجة الموت.. المهم هو أن تهرب من الأرجل، وبعدها فكر كيف تحارب العنكبوت...!!

تصخب مع زوجك.. ففروب الشمس يتحول إلى حرية سوداء في أزمة مظلمة.. النهار هو مقتلي.. آه من النهار وتلك الأيدي التي تبحث عنا حاملة أحذيتها..!! حريتي أحرقت قبل الشروق وبعد الغروب.. بل بعد الغروب أجهضت ثم أحرقت قبل الشروق.. هناك ظلال باقية ما دامت الشمس لم تشرق بعد.. يلتقي الصمت عل قتلك مع الظلام..

الصمت خيار!!! الموت يحيط بالصرخة، وأنت أعزل، وقانون الغاب يقتل الأعزل والمخلوع.. أغلب أفراد عائلتنا ماتوا تحت الأرجل..!!

ها أنت تعيش القيد والجوع والمرض والموت في الدهاليز..

تصر على النصر!!

تنتصر !!

ترفع هامتك لتقول كلمة واحدة، تعلكها بين فكيك كجمل هائج

الغبار!!

هل أصبحت جملا؟؟!

تقنع نفسك أن لا بدّ من الصمت الحاقد!!

العدو!!

ترعى انفجار الصرخة في جوف قيد يلتف حول الأعناق..!!

ترى نفسك مرميا في مستنقعات الغروب.. في ظلمة حالكة تفرضها عليك القيود.. تقف تفكر بصمت: يجدر تحديد موقع الرذيلة!! ترى العجائب!! الرأس واحد، والفروع كثيرة!!

تسير في الشارع، ترى البيت القديم يتمرغ في الأرض وبجانبه هناك قصر كبير.. ربما هناك يقيم العنكبوت.. هناك جنود يحملون عصا وبندقية.. هناك خارج القصر، حيث الجانب المهمل، كان يجلس طفل رث الثياب.. يلعب بزجاجة فارغة..

كان الطفل يدخل التراب في الزجاجة، ويثير الغبار!!

قوم

كان المطر يتكاثف غيمة غيمة.. وكانوا هناك يعصرونه عصرا عصرا.. ويبيعونه في زجاجات مالحة مالحة.. وكانوا هنا يشترون ويشربون ويتخلصون من الزجاجات الفارغة.. ولماذا لا تزرعون يا سادة يا كرام يا أهل باديتي العظام؟!.. إننا نشتري ما نريد بأقل مما ننفق!!.. وفي وقت الشدائد ماذا ستفعلون؟! ليوم الله يفرجها الله!!.. وأنتم ماذا تخططون؟!.. إنهم لا يملكون إجابة.. إنهم يصمتون خرسا.. خرسا..!!

أصبحت مياهنا تنساب في مداخل كل الأخاديد النافذة إلى هناك.. ولم نعد نملك منها غير أحلامنا الهاربة منا إلى هناك.. دعوها تسكن في مخازنها لحين الحاجة إليها.. وهم يأخذونها.. قد يأتي زمن يا قوم لا تجدون فيه الدلو كي تنضحوا المياه.. كان عليكم أن تزرعوا براريكم قبل زمن رعبكم!! كان علينا أن نزرع برارينا!!

لا أحد يصدق حكايتنا.. قالوا لنا خبئوا الماء مكان نفطكم المشروب حتى لا تنهار بكم الجروف والأخاديد ديدي ديدي دده واه...عجايب!!

يا معشر شر شر قومي

تعلقت عيناها بعنوان الكتاب الملقى على الطاولة.. تحرك فمها بعد صمت طويل:

«إني لا أتحمل أخطاء غيري، فلا تعبس في وجهي»

تفحص الحروف في الجريدة، لم يغضب من قولها.. في داخله شعور يقول: سكت دهرا، فنطق إفكا..

لا أحمل في يدي تفاحة.. أنا سجين في عالم يتحرك بقيود.. الأطفال يعبثون، وطفولته خرقة بيضاء، تعلق على سطح المنزل.. ترفرف في الهواء: ها نحن نستسلم، ونسلم القرية لهم من غير حرب..

في داخلها الحب الغريب وعلامات الخريف، وترتسم فوق جبهتي إشارات سوء الطالع..

ربما كنت سلبيا، أحيط نفسي بهالة من التعقيد والإغراق في المتاريس والكواليس.. «عبس وتولى».. إنها تطلب مني السعادة.. هل توجد في الحب والموت معا؟؟ أم في الخبز الساخن؟؟ أهي في نهاية رحلة البحث عن عمل؟ أم في القناعة بالقسمة والنصيب؟

همس في أذنها: «إني أبحث عن امرأة تعشقني بجنون»؟!.

- وكيف لو عشقت امرأة ما، لا تقبل بأقل من الحب بجنون؟!

لم يفكر بالإجابة أو الرد.. إن السجن يقتل أحلام الخارجين عن جدرانه..

الزمن لا يلجم، ولا يتوقف.. وإن ضاع الخبز يتحول كل شيء إلى قبر..

متى يحين وقت الهجيع في الرحيل؟؟!.. متى تطعمني الغربة من خبزها لأشتري بدلة عرس؟؟!

آه منك أيتها الأرض التي لا أستطيع أن أغسلها، كما أغسل ثوبي أو أضربها بعيدا عني.. هناك حيث قعر النسيان؟؟!

- إني مجنون!!

- أعرف من يفعل بك هذا!!

- من؟!!

- الشرف!!

- ربما!!

- لو بعت شيئا منه، ستكون سعيدا، على الأقل أمام الآخرين!!

- والشرف؟!

- فقر!!

- وأنا أعشق الفقر!!

قتلتني زوايا الرؤية في زمن مغترب.. تدق الطبول فوق أذني كي تعود إليّ الذاكرة.. أذكر الجمال ورونق المحبة.. انظر إلىالقمر في السماء كيف يرقص.. أنت بحاجة إلى الانطلاق كي تقتل قالبيتك، وتبدد أجزاءك، وترجم ذاتك..

ابحث عن مخرج تقتل فيه موتك في اصطخاب واحد..

سأبحث..

أيها الرجل العجوز إني عاجز عن تقديم قالبيتي في صحون ورقية تأكلها الأفواه..

ينظر إليّ بلا مبالاة ويقول: انظر للمدينة!!

أسير في الشارع وحيدا.. الطرق تتهاوى من أمامي..

إنها مزدحمة بالآلات.. أجري.. أشعر بالدوار.. إن العيش في أرض يقتل فيها الجنين في بطن أمه أحب من العيش في أرض يكبر فيها الجنين وتقتل أمه، فيشرب حسرتها..

يا معشر قومي: لم تحرمون الرقيق وتدجنون الرق؟؟!!

ويردد الصدى: يا معشر شر شر شر شر قومي لم لم لم تحرمون الرقيق وتستعبدون جسدي دي دي دي؟!

أبو معتوق يرتحل نحو الشمس

أحيكت خيوط الظلام.. وأسدل الستار الأسود القاتم حول القرية الأثرية الصغيرة.. القابعة بين منحنيات جبلية وعرة، جردتها ليلكية السماء المكفهرة من بقايا التربة العميقة، فظهرت الصخور الخمرية تحف بقرية تُزف لشيخ في الستين من عمره.. وتحيط بها الجذور الأفعوانية كوجه معروق أحرقته الشمس الصخرية..

القرية تتمسك بالحائط الملتف حول المقبرة الأثرية. وهي مقبرة تقدسها الطفولة والشيخوخة في القرية، وذلك لاعتقادهم بأن بقايا عظام الجد الأكبر مازالت محنطة منعمة في المقبرة الأزلية..

وتكدست حكاية الجد الأكبر، فأضحت أسطورة يرويها الشيخ للصغار جيلا يعقب جيلا. فتتجسد في مخيلة الطفل الصغير أسطورة الجد المنعم الذي تتنافس على الإحاطة به آلاف الجواري، ولكن للشيخ شبحا يظهر في الليل الحالك.. لذلك يتحاشى الأطفال الاقتراب من المقبرة خوفا من نقمة أحلام الجد وأسطورة الشبح القاتل...

الموت ظلام أحلام الطفولة في الصورة البطولية المرعبة..

فتهرع هذه الأحلام المرعبة إلى حجر الأم المستغرقة في نوم عميق.. فتصحو الأم وتلعن الشيخ أبا معتوق الذي يحدث الصغار عن المقبرة.. يروي لهم كيف كان الجد الأكبر قاتل امرأة في محراب التربة خوف العار وفتنة الجسد الملتاع..

لا تلعن الأم المقبرة.. ولا تلعن الضحية.. وإنما تلعن هليك الشيب أبا معتوق.. وكل الأشياء المنفية تسقط على رأس الشيخ أبي معتوق..

★ ★ ★ ★

إنه أكبر شيوخ القرية.. وأكثر من يعرفونه يقولون: إنه كبير في السن، فهو خرِف. ولكنهم يعترفون بصدق مرجعيته فيما يخص أخبار القرية. فقد كان في شبابه وكهولته البناء الوحيد في القرية، يبني البيوت في طراز هندسي قديم. وها هو في شيخوخته يشهد بيوته تُهدم، فتتغير ملامح القرية...

الشيخ عند القوم مجنون.. والطفل تعيس أغبر.. يخرج من الباب العتيق الذي يتجمع حوله الذباب رجل مربوع، هو صاحب الملحمة الأثرية، فينهر الأطفال والشيخ: «إن لم تغادروا هذا المكان، سأضرب كل واحد منكم بهذه العصا الغليظة».

ويضرب أحد الأطفال على قفاه، وآخر على ظهره،

والشيخ على عمامته، والثالث يبكي من شدة الخوف..

وتراجعت الطفلة التي كانت تنوي القدوم إلى الحلقة هاربة... وتتوزع الأطفال المداخل الضيقة حتى لم يبق في الحلقة إلا الشيخ والطفل العاجز، وطفل آخر ينظر إلى اللحام بحقارة، مما أدى به فيما بعد، عندما حاول اللحام أن يضربه بالعصا، أن يحمل حجرا ويقرعه في الصدر المنتفخ، ثم يقفز مختفيا في الحارة.. ويسمعُ صوتُ الشيخ ممزوجا مع لعنات اللحام، يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله، لعنة الله على الشيطان الرجيم» وينظر الطفل المشلول إلى الشيخ وفي عينيه حزن سنوات الزحف. وكان الشيخ قد أغمض عينيه، فلم يظهر من وجهه إلا الشعر الأشيب المتهدل الكثيف..

★ ★ ★ ★

لم يعد الشيخ المسن قادرا على مواجهة تقريع الأهالي، وبخاصة صاحب الملحمة الذي تشرف ملحمته على الساحة الوحيدة الواسعة في القرية. واللحام وحده هو الذي يتحكم بالساحة.. ولعله يظنها وصية الجد الأكبر له، وهو لا ينتمي إلى فرع من العروق التي تتفرع من الجد الأكبر. والشيخ يقول: إن جد اللحام كان من عبيد الجد الأكبر. من هنا ازداد حقد اللحام على الشيخ أبي معتوق ...

الشيخ يحب الأطفال، فهم وحدهم من يسمع أقواله.

لكن الكبار يقتلونه في اليوم الواحد ألف مرة، ويدعون أنه يفسد الأطفال، وقد اشتكوا عليه مرات كثيرة لمختار القرية الذي أكد لهم أنه مجنون، وعصا المجنون خشبة، وعلى الآباء أن يمنعوا أطفالهم من الاقتراب من الشيخ المجنون. وقد أخبر المختار بعض الأهالي أنه وكل اللحام رعاية الشيخ حتى وفاته.. فقطعة الدهن التي يضعها اللحام على لحم المشترين هي من أجل أن يمنعوا أطفالهم من الاقتراب من الشيخ المجنون...

بدت على الشيخ علامات شدة الألم والانزواء والفكرة الطويلة.. وذلك بعد أن قال له اللحام: «إنك ستموت مقتولا إن لم تبتعد عن الأطفال، وتلزم سقيفتك.. ولن يوجد شخص واحد يسأل عنك أو يبحث عن دمك المهدور. ومن يسأل عن شيخ في الستين من عمره!!...»

اعتقد الكثيرون من أهل القرية أن علائم الموت بادية على الشيخ.. فقد أهمل اقتراب الأطفال منه، وأصبح سيره في القرية وظهوره بها يقل تدريجيا... وهذا التغيّر في حال الشيخ ظهر للصغار قبل الكبار. ويسأل الطفل امه:«أين الشيخ، لم أره منذ أسبوع!!»

فتنهره الأم معلنه: «إني سأعاقبك إذا لم تترك التعلق بسيرة هذا الشيخ المجنون...»

وفي جنح الظلام حيث جميع الأهالي نيام قرر الشيخ أبو معتوق الهيام وقصد قرية بعيدة، دون أن يعلم أمره شخص واحد من أهل القرية.. وكان الرحيل هو شغل تفكير الشيخ في الأيام الأخيرة من حياته في القرية.. وكان السؤال الذي يحيره هو:

«لم لا أموت هنا؟! في هذه القرية الملعونة! إنني أريد أن أعرف سر الجد الأكبر وأصل اللحام..»

وأخيرا قرر الرحيل. فرحيله لن يهدم البيوت التي بناها، ولن يقتل الحشرة أو يفجر الصراع داخل المقبرة، وكذلك بقاؤه...!!

لكن الأطفال يحبونه..فهم ذاكرته التي لن تُنسى أبدا.. هذا ما كان يقوله لمن يحتج في وجهه راميا إياه بالجنون في قصصه الخرافية مع الأطفال...

★ ★ ★ ★

تفجرت الدموع، وارتعش الجسد المتهاوي، وحملقت العينان بشدة في كل أنحاء القرية، فأضحت كل الوجه العيون، وارتفعت اليد تعانق السماء والستار الأسود يلف القرية..

يودع القرية في المقبرة، وفي الجسد انشقاقات صخرية

تتولد من جرح عميق...

صاح الديك في غير موعده فاعتقد الطفل المشلول الذي ينام فوق كومةالحشيش اليابس أن الديك «مسطول»..

أين الولوج يا أبا معتوق..؟ ولم سميت بهذا الاسم؟؟! إنك تبتعد عن القرية.. تترك الجرح والفرح وأساطير تروى بعدك، قصة الشيخ المجنون... قصة الطفل المشلول...

«أشعر بحسرات الأطفال تبحث عني.. دون أمل.. وتسطّر في أذهانهم خرافية الرحيل والتشرد والضياع والحنين.. وفي قرارة دواخلك تعرف الجرار التي تكسر خلفك.. وتخلف ذكرياتك في القرية مع الطفل الكسيح...»

من يبحث الرحيل؟! الأطفال؟! شيخ آخر؟! مجنون امرأة تلعن الشيطان، ولم تعرفه؟!!!

إنه الرحيل تجاه الشمس...!!!

المنتدى – دبي

موت

كان عليك أيها المسكين أن تراعي أوجاعك الآسنة..كان عليك أن تصلي لله لأنك أصبحت في الأربعين ولم تمت بعد.. أن تحمده لأنه أطال عمرك وسط أنياب المنايا لترى الأشياء ولا تكتب عنها..!!

هل تشعر بما فعلوه بك؟ إنني أرى فيك كل الأشياء التي تذكرني بحسرة على كل الغرباء عندما يموتون وحيدين من غير أم.. ها أنت ملقى على ناصية الشارع تحت سقف النفق الطويل.. وها هي المياه تصرخ فوقك.. وها هي أحزانك الهامده تبكي عليك.. لقد حولت هذه الغيوم الصاخبة كل المساحات إلى أخاديد صارخة.. هل كنت صارخا عندما عذبوك وقتلوك وألقوا التهمة على المياه.. أو على سيارة عابرة.. أو ربما انتحرت بعد أن ألقيت نفسك في أخدود النفق ساقطا من سطح النفق..

ها أنت ممدد والمياه تنزاح من فوقك بلا حزن.. وحتى بعد موتك أصبحت مشكلة.. لقد عطلت حركة السير مدة أربع عشرة دقيقة.. إنني حزين لأجلك.. طبعا أنت لم

تعرفني.. ولكني أعرفك.. المرة الوحيدة التي رأيتك فيها كانت موتك.. صدقني لم أر منك غير بقايا الحذاء، وما تناقلته عنك الروايات حتى أصبحت خرافة...

الفنان في لوحاته

العالم يجري بين يديه كما يجري الماء في التربة الرملية.. يعشق فن الطيور والحيوانات التي تتجلى في وضع ملكي.. الطيور تتنوع فتظهر على لوحاته أفضل من صورها الحية، الأجنحة الملائكية كما تعلمها من اللوحات المرسومة للملائكة، والرؤوس دوائر ماسية لا يظهر فيها الاعوجاج.. والجسد أبنوسي يكاد يتفجر بالحياة والحيوية.

لم يرسم طيرا واحدا في قفص.. إن طيوره تكون طائرة أو على وشك..

نظرت إلى لوحاته فقالت: إن هذه اللوحات تعبر عن داخلك.. فالفنان يخلق وجوده في إبداعه، وإبداعك يبحث عن الحرية. نظر إلى اللوحات وقال: ربما..

★ ★ ★ ★

زاره صديق فرأى عنده قفصا فيه أربعة طيور...

– أمر غريب.. تسجن الطيور في القفص.. وعلى الورق ترسمها في كامل حريتها..

– ليس في الأمر غرابة.. فأنا أحب الطيور، وأستفيد من

حركاتها في تطوير رسوماتي.

- هذا هو التناقض.. يكشف القفص عن السادية، ويكشف الورق عن الحرية..

إذا لم أحتفظ بهذه الطيور.. سيحتفظ بها غيري..

- إن يحتفظ بها غيرك يختلف الأمر.. أنت فنان.. والفنان لا يقبل القيود على البعوضة.

لم أتصور حديث صديقي جديا.. كنت أعتقده نوعا من المماحكة والمزاج..

إن هذه الطيور مستوردة من الخارج.. وقد تمت تربيتها على العيش في الأقفاص.. فلو أعطيتها حريتها، فإنها - بلا شك - ستفقد حياتها مقابل هذه الحرية المزعومة..

ولكن الموت في الحرية أفضل من الموت في القيود.

- بل قل: إن العيش في القيود أفضل من الموت في الحرية..

مات طيران في أسبوع.. إما بسبب التخمة أو المرض.. وإني متأكد من أنهما لم يموتا من الجوع..

سافرت وتركت الطيرين عند قريبي.. وعندما عدت

وجدت القفص بلا طيور.. سألته عنهما.. فأخبرني أنهما ماتا من الجوع، إذ نسي أن يقدم لهما الطعام مدة ثلاثة أيام..

دار في ذهني الصراع الذي أشعله صديقي عن التناقض.. فهل أنا فنان.. أم سجان؟..

★ ★ ★ ★

عندما تفتحت براعمي في المدرسة.. كان مدرس التربية الفنية يطلب مني أن أخرج إلى السبورة كي أرسم رسمة ما.. فأرسم «النمر» يصفق الطلاب.. وأحصل على الدرجة الأولى في الرسم.

وعندما أصبحت طالبا في الجامعة طلب مني أحدهم أن أرسم رسمة ما على ورقة قدمها لي..رسمت «النمر» وأعطيته الورقة، وأنا لا أعرف ماذا سيفعل بها..

قال لي: إن في داخلك عدوانية.. ومن يحيطون بك يحبونك ويعجبون بك.. وفي الوقت نفسه يخافون منك ويتحاشون غضبك..

- ولكن هذه رسمتي المفضلة منذ صغري.

- فأنت كذلك منذ صغرك..

- ربما..

★ ★ ★ ★

كانت إشاعات العفو حديث ألفي سجين وفي لحظة التوهج قام السجن مرة واحدة يرقص ويغني لأن الفرج جاء، غير واحد سمعوا العفو العام من المذياع، فقام السجن ولم يقعد إلا بعد أن أكد البعض أن المذياع تحدث عن العفو العام قبل عشر سنوات.

ألحوا عليّ كي أصور الفرج.. ولم أكن ميالا إلى ما يتردد من إشاعات، رسمت الفرج في لوحة صغيرة، صقر في جسده رؤوس بشرية، يقطع الصقر بجناحه الأول بعض الأسلاك الشائكة حيث يخرج الجناح من القيود بعد أن تسقط بعض الوجوه البشرية.

لقد أعجبوا باللوحة.. فالقيود تتحطم، والصقر يطير.. إنه الفرج..

نام الجميع إلا أنا وشخص واحد أراه في أحيان كثيرة يرسم وجه المرأة.. قال لي:

- إنك لم ترسم الفرج..

- وكيف عرفت؟

- الصقر لم يخرج من السجن..

- نعم

- إن هذا ليس هو العفو العام..

- هذا صحيح.. فاللوحة لا تقدم الفرج.. والفن لا يقدم الخبز للجائع.. فالإنسان هو الذي يصنع الخبز.. وهو الذي يصنع الفرج.

الثقافة – دمشق

آمين...

بينما كانت تتمرد في بلاد خططت بقيود سوداء متقيحة جعلت اللون الأصفر الأملس مساحة معروقة متيبسة.. بينما كانت تتمرد حدث أن تداخلت مع دركي ملون الوجه والعينين واللسان، وهو كل الحدود والرسومات.. ولم يقل له أحد ما: «إنك المسخ والضغينة!!»

دار بها كل شوارع المدينة، ليدلها على الحانوتي الذي يجهز الجنائز ولا علاقة له بالدفن.. وبعد أن وصلا تمسكت يده بيدها حتى أخذ مجيدية من الفضة..

وعندما توقفت على الحد الفاصل بين المدينتين وقف في حلقها، وأخذ منها مجيدية من الفضة لأنها لن «تلزمها» بعد أن تعبر إلى المدينة الأخرى..

ومرة طلبت منه «حلحلة الأمور» لتقديم مرحلة عبورها على مراحل غيرها.. فأبدى نشاطا متواضعا، وأخذ مجيدية من الفضة..

وقبلها «شطح» في الحديث معها فقص عليها - إثر مجيدية اقتنصها- عدد الذين بطحهم في الشوارع، لأنهم

«تحرشوا» بالفتيات.. اللواتي - كما قال خجلا - «طبق» بعضهن؟؟ وحاول أن يتحدث عن جماله، لكنها «فقعته» مجيدية، فخرس..

وخالفت مرة فدفعت له مجيدية «التسليك» المعاملة قبل أن تدخل الحاسوب..

يا للصدفة الغريبة!!

صدمت سيارته سيارتها.. وسيارته للحكومة.. ولم تنفع المجيدية فطالبها أن تتحمل المشكلة..

- الحق عليّ، لكنك يجب أن تحمليه، حتى لا أعاقب وتسقط مني «شرطة».

في لحظة ما حكت كل ذلك لزوجها، وفصلت الأمر حتى الملل، فتعجب من كلامها غاية العجب. وقال: «ولماذا تقع الطامة على رأسي دائما عندما يصطدمون بي»!!!

- لأنك لا تعرف كيف تدبر نفسك!!

- اللهم أبعد الأشواك الصغيرة عن طريقي يا أرحم الراحمين.

صوت الجيل - عمان

سيرة ذاتية

حسين عبدالله موسى المناصرة: ولد في قرية بني نعيم بفلسطين عام ١٩٥٨م، وتخرج من مدرستها الثانوية عام ١٩٧٧، فالتحق بقسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية بعمان، حيث تخرج في البكالوريوس عام ١٩٨١، ثم في الماجستير عام ١٩٨٤. يعمل منذ عام ١٩٨٧ محاضرا بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض، ومسجل لنيل الدكتوراه في جامعة عربية.

يكتب في الصحافة العربية منذ عام ١٩٨١ في مجالي: النقد، والقصة القصيرة.

يشارك في الندوات.. والمؤتمرات.. والأندية الأدبية.. ويعمل سكرتير لتحرير مجلة «قوافل» الصادرة عن النادي الأدبي بالرياض منذ العام ١٩٩٤.

كتب في أكثر من ثلاثين صحيفة ومجلة عربية ما يزيد على ثمانين بحثا ومقالة. يشارك منذ سنة ١٩٩٤ بقراءات نقدية في الملحق الثقافي المتميز لجريدة الجزيرة بالرياض.

الكتب المنشورة:

١: فرح أنطون روائيا ومسرحيا -دراسة نقدية.

٢: في طريقهم إلى الجنون - مسرحية.

٣: لقاء في القوج الأخير - قصص.

٤: الرخ يعانق بوميثيوس أودليلة تتقياً - مسرحية.

من أهم أبحاثه المنشورة في الصحافة العربية:

١- إشكالية المدينة والمثقف في عالم جبرا الروائي.

٢- إشكالية المرأة الكاتبة والمكتوب عنها في خطاب سحر خليفة الروائي.

٣- الحب والوطن في روايتين من روايات الأرض المحتلة.

٤- ثلاثة أبحاث في الرواية والتراث.

٥- عشر مقالات في الثقافة.

٦- عشر قراءات في النص..

٧- ثقافة المنهج (١٢حلقة)

٨- الفردوس المفقود (إشكالية البحث في روايات إميل حبيبي)

٩- إشكالية الكتابة في عالم بلا خرائط.

١٠- عدة قراءات في القصة العربية السعودية.

من الكتب المخطوطة:

١: صعاليك في خربة بني دار: رواية نشر بعض فصولها في الصحافة العربية.

٢: إشكاليات في الرواية الفلسطينية: نشر أغلب فصوله في الصحافة العربية.

٣: تداعيات امرئ القيس على متن صخرة: قصص نشر بعضها في الصحافة العربية.

٤: في النص والثقافة - قراءات نقدية نشرت في الصحافة العربية.

العنوان البريدي: المملكة العربية السعودية الرياض ١١٤٥١ جامعة الملك سعود - كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها ص.ب. ٢٤٥٦ ت ع ٤٦٧٥٠٩١/ ت م ٤٦٣١٦٤٥ ف ٤٦٧٥٠٩٣ + فلسطين (بني نعيم) ت ٩٢٧١١٧ + عمان صويلح ت (٨٣٦٦٢٨).

٢١- قوم ٨٦
٢٢- يا معشر شر شر قومي ٨٧
٢٣- أبو معتوق يرتحل نحو الشمس ٩١
٢٤- موت ٩٧
٢٥- الفنان في لوحاته ٩٩
٢٦- آمين ١٠٤

فهرس المحتويات

١- حالتان في الشارع العام ٥
٢- السقف تندف ٩
٣- عريس آخر زمن ١٤
٤- مفارقة ١٨
٥- جحا العربي ٢٠
٦- هاتف ٢٣
٧- الوثيقة ٢٧
٨- امرأة ٣٢
٩- الجثة ٣٤
١٠- الطقس الأول من احتفال العنقاء ٤٤
١١- فنان ٤٩
١٢- الجدار القذر ٥١
١٣- التبغ واللعنة ٥٣
١٤- أرض ٥٦
١٥- ولادة عبد الفتاح ٥٨
١٦- تفاصيل ليست لكم ٦٣
١٧- البقايا ٦٧
١٨- القبعة والشيخ ٦٩
١٩- قلبها مدمي ٧٧
٢٠- من مذكرات صرصور عام ١٩٦٧م ٨٠

التبغ واللعنة

حسين المناصرة، ناقد وقاص متميز، في هذه المجموعة التبغ واللعنة، يمزج بحداثة فريدة بين تكنيك القص وتكنيك النص، هناك نصوص تبدو وكأنها خواطر أو مقالات، وقصص يكتمل فيها البناء القصصي، لغة وسرداً وحواراً وشخوصاً.

فلسطين الوطن، ومكابدات الاحتلال وكوابيسه تشكل الهاجس الأعم في قصص هذه المجموعة ونصوصها.

«التبغ واللعنة» عمل إبداعي جديد لحسين المناصرة بعد عمله النقدي الأول «فرح أنطون روائياً ومسرحياً».

خليل السواحري

دار الكرمل للنشر والتوزيع
ص.ب ١٧٠٦٧ - هاتف ٦٨٩٦٨٤ فاكس ٦٨٩٦٨٥ - عمان - الأردن
• الغلاف : زهير أبو شايب